مجلة شهرية

Issue No: 211 عدد:

March 2025 شهر آذار

المسيح

Φ Ω Σ

نور

ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ιερά Μονή Σταυρονικήτα Αγίου Όρους

دير الرُّوم ستافرونيكيتا جبل آثوس

يحتفل الدير بعيد القديس نيقولاوس العجائبي في ٦ ديسمبر كانون الأول شرقي، الواقع في ١٩ كانون الأول غربي

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

"بِمُناسَبَةِ عِيدِ الشُّهَدَاءِ الأَرْبَعِينَ، وَعِيدِ شَفِيعِ غِبْطَةِ البَطْرِيَرْكِ، القِدِّيسِ ثِيوفِيلُسَ الشَّهِيدِ."

٩ آذار شرقي، الواقع في ٢٢ آذار غربي سنة ٢٠٢٤

يَقُولُ **القدِّيسُ بَاسِيلِيُوسُ الكَبِيرُ**: «إِنْ أَثْنَيْتَ عَلَى الشَّهِيدِ بِإِخْلَاصٍ، تُصْبِحُ شَهِيدًا فِي نِيَّتِكَ، فَتَحْظَى بِنَفْسِ الْأَجْرِ الَّذِي نَالَهُ، دُونَ أَنْ تَمُرَّ بِالاضْطِهَادِ أَوْ تُحْرَقَ بِالنَّارِ أَوْ تُجْلَدَ بِالسِّيَاطِ.»

أَيُّهَا الْآبَاءُ الْأَجِلَّاءُ، وَالْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

أَيُّهَا الزُّوَّارُ الْمَسِيحِيُّونَ ذَوُو حُسْنِ الْعِبَادَةِ.

هَا قَدْ أَشْرَقَتْ كَالنُّورِ ذِكْرَى الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ الشُّهَدَاءَ الْمُمَجَّدَةُ، إِلَى جَانِبِ **رَفِيقِهِمْ فِي الِاسْتِشْهَادِ، الْقِدِّيسِ ثِيُوفِيلُوسَ**، الَّذِي اسْتُشْهِدَ مَعَهُمْ فِي مَدِينَةِ سَبَسْطِيَّةَ. وَجَاءَ هَذَا التَّذْكَارُ فِي زَمَنٍ يَلُفُّهُ ظَلَامُ الْحَرْبِ الطَّاحِنَةِ الَّتِي تُخَيِّمُ عَلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، «حَيْثُ وُجِدَ رَبُّنَا وَمُخَلِّصَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيهَا فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَوَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتَ الصَّلِيبِ.» (فِي ٢:٨). تَمَثَّلَ الشُّهَدَاءُ الأَرْبَعُونَ، الْمُسْتَحِقُّونَ لِكُلِّ إِعْجَابٍ، **فِي طَاعَةِ الْمَسِيحِ** وَتَوَاضُعِهِ حَتَّى الْمَوْتِ. «لِأَنهم كَانُوا كَامِلَيْنِ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (١كور١:١٠)، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ صَادِقُونَ عَلَى سِرِّ التَّقْوَى وَالإِيمَانِ، وَكَمَا يُؤَكِّدُ **الرَّسُولُ بُولُسُ** فِي كَرَازَتِهِ قَائِلاً: « وَجَمِيعَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يَضْطَهِدُونَ.» (٢ تيموثاوس ٣:١٢)، وَيَقُولُ أَيْضًا **القديس يُوحَنَّا الذَّهَبِيُّ الفَمِ**: لَا يُوجَدُ رَجُلٌ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ الفَضِيلَةِ وَلَا يَكُونُ لَهُ أَلَمٌ وَحُزْنٌ وَغَمٌّ وَتَجَارِبُ. لِهَذَا فَإِنَّ مَرْنَمَ الْكَنِيسَةِ يَهْتِفُ قَائِلاً: «**لَقَدْ قَضَى الْمُضْطَهَدُونَ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ عَنْ غَيْظٍ فَاقِدِ الشُّعُورِ. بِأَنْ يَبِيتُوا فِي الْمَاءِ الصَّقِيعِ تَحْتَ كَبِدِ السَّمَاءِ. فَكَانُوا يَرْنِمُونَ فِيهِ بِتَسَابِيحَ الشُّكْرِ.**»

لِأَنَّ القِدِّيسِينَ الأَرْبَعِينَ كَانُوا فِي الحَقِيقَةِ مُمَارِسِينَ وَمُتَدَرِّبِينَ عَلَى التَّقْوَى **فِي المَسِيحِ**، وَمُتَأَصِّلِينَ فِي **مَحَبَّةِ اللهِ**، مِمَّا جَعَلَهُمْ يُرَنِّمُونَ **للهِ** تَسَابِيحَ الشُّكْرِ، سَاخِرِينَ وَمُسْتَهْزِئِينَ مِنْ جُنُونِ وَعُنْفِ مُضْطَهِدِيهِمْ، وَمُتَشَجِّعِينَ **بِقَوْلِ الرَّبِّ**: «طُوبَى لَكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ، لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ.» (لو٦:٢١). يَقُولُ **القدِّيسُ بَاسِيلِيُوسُ الكَبِيرُ** فِي مَدِيحِ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا: لَيْسَ مَنْ يَعْرِضُ لِتَعَجُّبِنَا أَوْ لِانْذِهَالِنَا وَاحِدٌ وَلَا اثْنَانِ، بَلْ أَرْبَعُونَ، وَكَأَنَّ لَهُمْ نَفْسًا وَاحِدَةً فِي أَجْسَامٍ شَتَّى، يَجْمَعُهُمْ وَحْدَةُ الإِرَادَةِ وَالرَّأْيِ فِي الإِيمَانِ. كَمَا أَبْدَوْا نَفْسَ الثَّبَاتِ تُجَاهَ الأَخْطَارِ، وَنَفْسَ الذَّوْدِ عَنِ الحَقِّ. كَانُوا جَمِيعًا مُتَمَاثِلِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَبِحَسَبِ **القدِّيسُ بَاسِيلِيُوسُ الكَبِيرُ** فَإِنَّ اسْتِشْهَادَ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ؛ فَأَوَّلاً: «أَنَّهَا جَمَعَتْهُمْ وَحْدَةُ الإِيمَانِ، وَثَانِيًا: أَنَّ كَانَ لَهُمُ الدِّفَاعُ ذَاتُهُ وَالذَّوْدُ عَنِ الحَقِّ، إِذْ إِنَّ الإِيمَانَ وَالحَقَّ كِلَاهُمَا يَخُصَّانِ: **ابْنُ وَكَلِمَةُ اللهِ الآبِ رَبَّنَا وَمُخَلِّصَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ** الْقَائِلُ: «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ.» (مر١٦:١٦). وَفِي مَكَانٍ آخَرَ أَيْضًا يُؤَكِّدُ قَائِلاً: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو١٤:٦) ، «لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي.» (يو١٨:٣٧). وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الإِيمَانَ وَالحَقَّ **فِي المَسِيحِ** يُشَكِّلَانِ أَسَاسَ وَقَاعِدَةَ كَنِيسَةِ **المَسِيحِ**، وَأَمَّا مَوْتُ الشَّهَادَةِ فَهُوَ تَأْكِيدٌ عَلَى **قِيَامَةِ المَسِيحِ**. وَبِمَعْنًى آخَرَ، أَنَّ الأَرْبَعِينَ شَهِيدًا القِدِّيسِينَ قَدْ خَتَمُوا بِدِمَائِهِمْ عَلَى الحَقِّ **فِي المَسِيحِ**، تَأْكِيدًا عَلَى **قِيَامَةِ المَسِيحِ**، عَامِلِينَ بِكَرَازَةِ الرَّسُولِ بُولُسَ: «لِأَنَّ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لَكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ.» (عب١٣:١٤). «وَلِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَحَدِّينَ مَعَهُ بِشَبَهِ مَوْتِهِ، نُصَيَّرْ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ، فَإِنَّ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ. عَالِمَيْنِ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَمُوتُ أَيْضًا. لَا يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْد.» (رُو٦:٥ و٨-٩).

تُكَرِّمُ كَنِيسَةُ **المَسِيحِ** المُقَدَّسَةِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ تَذْكَارَ **القُدِّيسِينَ الشُّهَدَاءِ الأَرْبَعِينَ**، لِأَنَّهُمْ، كَمَا يَقُولُ **القُدِّيسُ بَاسِيلِيُوسُ الكَبِيرُ**، أَجَابُوا بِجُرْأَةٍ وَشَجَاعَةٍ، غَيْرَ هَيَّابِينَ مِنَ المَشَاهِدِ الهَائِلَةِ أَمَامَهُمْ، وَلَا جَزِعِينَ مِمَّا تَوَعَّدُوا بِهِ، وَأَعْلَنُوا بِكُلِّ جَلَاءٍ أَنَّهُمْ مَسِيحِيُّونَ. إِنَّ هَذَا الِاعْتِرَافَ جَعَلَ القُدِّيسِينَ الشُّهَدَاءَ يَدْخُلُونَ **مَدِينَةَ اللهِ** الحَيَّةَ، أُورْشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةَ، حَيْثُ مَحْفَلُ المَلَائِكَةِ، وَحَيْثُ لَحْنُ المُعِيدِينَ الشَّجِيِّ الَّذِي لَا يَفْتُرُ.

إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ الْبَهِيَّ الْمَجِيدَ لِعِيدِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا، وَبِالْأَخَصِّ

اَلْقُدِّيسَ اَلشَّهِيدَ تِيُوفِيلُوسَ، اَلَّذِي اِسْتُشْهِدَ مَعَهُمْ، وَالَّذِي يَحْمِلُ اِسْمَهُ اَلْجَلِيل حَقَارَتِنَا. يُشَكِّلُ، بِحَسَبِ تَعْبِيرِ **اَلْقُدِّيسِ أَثَنَاسِيُوسَ اَلْكَبِيرِ**، مِثَالَ اَلْفَرَحِ اَلْعُلْوِيِّ، أَيِ فَرَحِ اَلْمَلَائِكَةِ فِي اَلسَّمَاءِ. لِأَنَّ أُولَئِكَ اَلَّذِينَ أَحَبُّوا **اَلْمَسِيحَ** صَارُوا مُشَارِكِينَ **فِي دِمَاءِ مَوْتِ اَلْمَسِيحِ** اَلِاسْتِشْهَادِيِّ. لِهَذَا اِنْتَقَلُوا مِنَ اَلْمَوْتِ إِلَى اَلْحَيَاةِ، وَأَمَّا اَلْحَيَاةُ فَهِيَ **اَلْمَسِيحُ** نَفْسُهُ، كَمَا يَشْهَدُ هُوَ قَائِلًا: «أَنَا هُوَ اَلْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١:٢٥).

إِنَّ أَبَ الكنيسةِ العظيم، **اَلْقِدِّيسَ غِرِيغُورْيُوسَ اَلنِّيصِيَّ**، يَمْدَحُ فِي عِظَتِهِ الشُّهَدَاءَ الأَرْبَعِينَ، القِدِّيسِينَ، إِذْ يَقُولُ: لِكَيْ نَكُونَ نَحْنُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الشُّهَدَاءَ هُمْ أَحْيَاءٌ، وَهُمْ يَحْتَفُّونَ حَوْلَ **اللهِ**، وَيَخْدِمُونَهُ، وَهُمْ، اليَوْمَ، جَمَالُ الكَنِيسَةِ وَفَخْرُهَا وَعَوْنُهَا. وَبِحَسَبِ **اَلْقِدِّيسِ أَسْتِيرْيُوسَ أَمَاسِيَاسَ**، إِنَّ الرِّجَالَ الشُّهَدَاءَ القِدِّيسِينَ، بِالمَوْتِ الصَّالِحِ، صَارُوا خَالِدِينَ. وَلِأَنَّهُمْ احْتَقَرُوا هَذِهِ الحَيَاةَ الأَرْضِيَّةَ، فَصَارُوا أَحْيَاءً إِلَى الأَبَدِ. وَاسْتَبْدَلُوا دِمَاءَهُمْ بِالمَلَكُوتِ السَّمَاوِيِّ، وَجَعَلُوا الجَسَدَ المَاكِرَ مُحْسِنًا، وَخَادِمًا لِلنَّفْسِ.

إِنَّ كَنِيسَتَنَا اَلْمُقَدَّسَةَ تُكَرِّمُ بِفَرَحٍ وَيُبُورٍ تَذْكَارَ يَوْمِ مِيلَادِهِمْ، أَيْ اِسْتِشْهَادِ اَلْأَرْبَعِينَ قُدِّيسًا، وَبِالْأَخَصِّ **اَلْقُدِّيسِ اَلشَّهِيدِ تِيُوفِيلُوسَ اَلْمُسْتَشْهَدِ مَعَهُمْ**. فَذَهَبْنَا حَيْثُ مَوْضِعِ صَلْبٍ، وَدَفْنٍ، وَقِيَامَةِ مُخَلِّصِنَا المَسِيحِ، وَاحْتَفَلْنَا ، مُتَمِّمِينَ بِطَرِيقَةٍ سِرَّ اَلذَّبِيحَةِ اَلْإِلٰهِيَّةِ غَيْرِ اَلدَّمَوِيَّةِ، أَيِ سِرِّ اَلشُّكْرِ اَلْإِلٰهِيِّ، بِرُفْقَةِ أَخَوِيَّةِ اَلْقَبْرِ اَلْمُقَدَّسِ اَلْأَجِلَّاءِ مِنْ رُؤَسَاءِ كَهَنَةٍ وَكَهَنَةٍ وَشَمَامِسَةٍ وَلَفِيفٍ مِنْ أَبْنَاءِ رَعِيَّتِنَا اَلْمَسِيحِيِّينَ اَلْأَتْقِيَاءِ. وَرَفَعْنَا اَلْمَجْدَ وَالشُّكْرَ لِإِلٰهِنَا اَلْوَاحِدِ اَلْمُثَلَّثِ اَلْأَقَانِيمِ، وَهَذَا لِأَنَّنِي أَحْمِلُ اَسْمَ **اَلْقُدِّيسِ اَلشَّهِيدِ تِيُوفِيلُوسَ**، صَانِعِينَ عِيدَ اِسْمِنَا اَلْمُوقَرِ، وَمُبَارِكِينَ **رَبَّنَا وَمُخَلِّصَنَا يسوع اَلْمَسِيحِ**. وَكَما يَقُولُ **اَلْقُدِّيسُ اَلشَّهِيدِ فِي اَلْكَهَنَةِ بُولِيكَرْبُوسُ سِمِيرْنَاءَ**: إِنَّنَا نَسْجُدُ **لِلْمَسِيحِ اِبْنِ اللهِ**. فَأَمَّا اَلشُّهَدَاءُ فَإِنَّنَا نُكَرِّمُهُمْ وَنُحِبُّهُمْ كَتَلَامِيذِ **اَلرَّبِّ** اَلَّذِينَ اِقْتَدَوْا بِهِ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِمْ اَلْفَائِقَةِ لِلْمَلِكِ وَلِلْمُعَلِّمِ. وَنَقُولُ هَذَا اَلْيَوْمَ، لِأَنَّ عِيدَ اَلْقِدِّيسِينَ اَلشُّهَدَاءِ اَلْأَرْبَعِينَ، وَبِالْخُصُوصِ اَلْقِدِّيسِ تِيُوفِيلُوسَ اَلْمُسْتَشْهَدِ مَعَهُمْ، لَا يَخُصُّ حَقَارَتَنَا فَقَطْ، بَلْ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، يَخُصُّ **عَرْشَ اَلْقِدِّيسِ اَلرَّسُولِ يَعْقُوبَ أَخُو الرَّبِّ** مِنْ جِهَةٍ، وَلِمُؤَسَّسَةِ اَلْكَنِيسَةِ اَلْأُرْثُوذُكْسِيَّةِ اَلْوَاحِدَةِ اَلْجَامِعَةِ اَلْمُقَدَّسَةِ اَلرَّسُولِيَّةِ، اَلَّتِي هِيَ جَسَدُ **اَلْمَسِيحِ**، كَمَا يَقُولُ اَلْقِدِّيسُ بُولُسُ اَلرَّسُولُ: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ اَلْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا.» (١كو ١٢:٢٧).

وَأَنَاشِدُ جَمِيعَ اَلْإِخْوَةِ **فِي اَلْمَسِيحِ**، مِنْ رُؤَسَاءِ اَلْكَنَائِسِ اَلْأُرْثُوذُكْسِيَّةِ اَلْمُكَرَّمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَنْ يَعْمَلُوا جَاهِدِينَ مَعًا مِنْ أَجْلِ اِسْتِعَادَةِ اَلشَّرِكَةِ بَيْنَ اَلْكَنَائِسِ، وَفْقًا لِمَا أَمَرَ بِهِ اَلرَّسُولُ بُولُسُ اَلْقَائِلُ: «مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحَفَّظُوا وَحْدَانِيَّةَ اَلرُّوحِ بِرِبَاطِ اَلسَّلَامِ.» (أف ٤:٣)، وَأَيْضًا، حَسَبَمَا يَقُولُ **اَلْقُدِّيسُ أَثَنَاسِيُوسُ اَلْعَظِيمُ**: «أَرْجُوكُمْ مِنْ أَجْلِ اَلْمَسِيحِ، لَا تَسْمَحُوا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ اِنْقِسَامٌ أَوْ تَحَيُّزٌ بَيْنَ أَعْضَاءِ جَسَدِ اَلْمَسِيحِ بِسَبَبِ اَلتَّعَصُّبِ، بَلْ أَطْلُبُوا سَلَامَ اَلرَّبِّ». وَلِهَذَا اَلسَّبَبِ تَحْدِيدًا، دُعِينَا، أَيُّهَا اَلْإِخْوَةُ اَلْمَحْبُوبُونَ **فِي اَلرَّبِّ**، لِلْخِدْمَةِ فِي اَلْمُصَالَحَةِ، أَيِ اَلسَّلَامِ اَلَّذِي يُعْطَى لَنَا **مِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ اَلْمَسِيحِ**. إِنَّنَا نَسْعَى وَنَسْأَلُ هَذَا اَلسَّلَامَ وَالْمُصَالَحَةَ، وَبِالْأَخَصِّ نَرْغَبُ فِيهِ بِشِدَّةٍ فِي فَتْرَةِ مِيدَانِ الصَّوْمِ الأَرْبَعِينِيِّ الكَبِيرِ المُقَدَّسِ. لِكَيْ، **بِشَفَاعَاتِ اَلْفَائِقَةِ اَلْبَرَكَاتِ اَلْمَجِيدَةِ، سَيِّدَتِنَا وَالِدَةِ اَلْإِلٰهِ اَلدَّائِمَةِ اَلْبَتُولِيَّةِ مَرْيَمَ**، مَعَ تَوَسُّلَاتِ اَلْقِدِّيسِينَ اَلشُّهَدَاءِ اَلْأَرْبَعِينَ، **وَاَلْقُدِّيسِ تِيُوفِيلُوسَ اَلْمُسْتَشْهَدِ مَعَهُمْ**، يُؤَهِّلُنَا **اَللهُ** لِنَصِلَ بِسَلَامٍ وَتَوْبَةٍ إِلَى اَلْقِيَامَةِ اَلْمَجِيدَةِ، قِيَامَةِ مُخَلِّصِ نُفُوسِنَا، **رَبِّنَا وَإِلٰهِنَا يَسُوعَ اَلْمَسِيحِ**. آمِينَ.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

ربيع الصوم : عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

إِنَّ عِظَةَ القِدِّيسِ يُوحَنَّا الذَّهَبِيِّ الفَمِ عنِ الصَّوْمِ الأَرْبَعِينِيِّ المُقَدَّسِ، الَّتِي تَتَنَاوَلُ الحَدِيثَ عَنْ إِبْدَاعِ وَخَلْقِ العَالَمِ، المَنْظُورِ وَغَيْرِ المَنْظُورِ، مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، تُبْرِزُ العَدِيدَ مِنَ الأَبْعَادِ وَالجَوَانِبِ الرُّوحِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الأَبْعَادِ:

تَعْزِيزُ الإِيمَانِ: إِنَّ التأمل في خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ والكائناتِ يُساهِمُ في تَعْزِيزِ إِيمانِ الإِنسانِ باللهِ وقُدْرَتِهِ المُطْلَقَةِ على خَلْقِ هذا الكَوْنِ الجسيمِ. فذلك يُثيرُ عقولَنا لإدراكِ إبداعِ اللهِ الخالقِ من العَدَمِ.

التَّأَمُّلُ فِي عَظَمَةِ اللهِ:

إِنَّ التأمُّلَ في خَلْقِ اللهِ يُوجِّهُ الإِنسانَ إلى إدراكِ عَظَمَةِ الخالقِ والتعرُّفِ على تَفاصِيلِ الكَوْنِ الَّتي تَشهَدُ على حِكْمَتِهِ وقُدرَتِهِ.

فَهْمُ عَلاقَةِ الإِنْسَانِ بِاللهِ: إِنَّ التأمُّلَ في الخَلْقِ يُعزِّزُ فَهمَ الإِنسانِ لِدَورِهِ في هذا الكَونِ، ويُشَجِّعُهُ على تحقيقِ التَّوازُنِ بينَ العِبادةِ والعَمَلِ في الأرضِ، إذ إِنَّه جُزءٌ من هذا الخَلْقِ الجَسيمِ.

الدَّعْوَةُ إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ: تَعْنِي تَشْجِيعَ الإِنْسَانِ عَلَى اسْتِخْدَامِ عَقْلِهِ لِلتَّأَمُّلِ فِي مُظَاهِرِ الخَلْقِ وَحِكْمَةِ اللهِ، وَالتَّعَمُّقِ فِي فَهْمِ المَعَانِي وَالقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالكَوْنِيَّةِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى وَعْيٍ أَعْمَقَ وَإِيمَانٍ أَقْوَى.

تَعْلِيمُ قِيمَةِ الحَيَاةِ: يُعَمِّقُ فَهْمَ الإِنْسَانِ لِقِيمَةِ الحَيَاةِ وَدَوْرِهَا فِي تَحْقِيقِ التَّوَازُنِ وَالإِعْمَارِ فِي الأَرْضِ، وَيُدْرِكُ الإِنْسَانُ أَنَّ غَايَةَ الحَيَاةِ النِّهَائِيَّةِ تَكْمُنُ فِي الاتِّحَادِ مَعَ اللهِ، الَّذِي يُحَقِّقُ السَّلَامَ الدَّاخِلِيَّ وَالخَلَاصَ الأَبَدِيَّ.

إِبْرَازُ مُعْجِزَاتِ الخَلْقِ: مِنْ خِلَالِ الحَدِيثِ عَنِ الخَلْقِ، يُمْكِنُ تَسْلِيطُ الضَّوْءِ عَلَى المُعْجِزَاتِ العِلْمِيَّةِ وَالكَوْنِيَّةِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الطَّبِيعَةِ وَالَّتِي تُثِيرُ إِعْجَابَ الإِنْسَانِ وَتُعَزِّزُ اسْتِشْعَارَهُ بِالجَمَالِ وَالنِّظَامِ فِي الكَوْنِ.

بِالمُجْمَلِ، الحَدِيثُ عَنِ الخَلْقِ يُعَمِّقُ الفَهْمَ العَقَائِدِيَّ وَالعِلْمِيَّ لِلإِنْسَانِ، وَيُحَفِّزُهُ عَلَى التَّقْدِيرِ وَالاحْتِرَامِ للهِ وَلِعَالَمِهِ الَّذِي أَوْجَدَهُ.

وَالأَهَمُّ: أَنْ يَسْعَى إِلَى خَلَاصِ نَفْسِهِ بِالتَّعَاضُدِ الإِلٰهِيِّ، الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنًى عَمِيقًا، يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى النِّعْمَةِ وَالمُسَاعَدَةِ الإِلٰهِيَّتَيْنِ فِي سَعْيِ الإِنْسَانِ نَحْوَ الخَلَاصِ الرُّوحِيِّ. وَيَظْهَرُ فِيهَا تَسْلِيمُ الشَّخْصِ نَفْسَهُ لِلْإِرَادَةِ الإِلٰهِيَّةِ، مُشِيرًا إِلَى التَّفَاعُلِ بَيْنَ الجُهُودِ البَشَرِيَّةِ وَالبَرَكَةِ الإِلٰهِيَّةِ الَّتِي تُنْمَحُ فِي سَبِيلِ الْفَوْزِ بِالخَلَاصِ. - العظة في الصفحة التالية:

العظة الأولى

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم، رئيس أساقفة القسطنطينيَّة، ألقاها في بداية الصوم الأربعيني عن أهميَّة وصيَّة الصوم، وعن السبب الذي دفع موسى النبيّ إلى الحديث عن السماء والأرض وعمل الرحمة.

أُلقيت هذه العظةُ في بدايةِ الصومِ الأربعينيِّ المقدَّسِ على آيةِ: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.» (تكوين ١:١).

مُقَدِّمَةٌ عَنْ رَبِيعِ الصَّوْمِ.:

١ – مُفرِحٌ هو الربيع للبَحَّارة وكذلك أيضًا للمزارعين، غير أنَّه ليس بهذا القدر من الابتهاج بالنسبة لهم، بقدر ما هو مُبهِجٌ وقت الصوم لأولئك الذين يرغبون في التأمُّل. (التفلسف، فيلوسُوفِيًا = *Φιλοσοφεία*، الكلمة هنا ذات مدلول مسيحي عن التأمُّل) فهو وقت الربيع الروحي للنفوس حيث الهدوء الحقيقي للأفكار والحواس. فإنَّ الربيع ممتعٌ للمزارعين لأنهم يرون الأرض وقد تكلَّلت بالزهور، وأوراق النبات تُزهر ممتدة في كُلِّ أنحاء الأرض كالثوب المزخرف. أمَّا البحَّارة، فالربيع ممتعٌ لهم إذ إنَّ مظهر البحر يمنح الشعور بالأمان لملاحة السفن، فالأمواج ساكنة، وأسماك الدلافين تلعب بِطُمأنينة شديدة، وكثيرًا ما تقترب من جوانب السفن. أمَّا بالنسبة لنا، فيكون ربيع الصوم ليس كما في البحر من أمواج هائجة، بل **في تهدئة الشهوات الجامحة**، فنتَكَلَّل بالزهور، ولكن بالنعَم الروحيَّة، لأنَّه يقول: «إِكْلِيلُ نِعْمَةٍ لِرَأْسِكَ» (أمثال ١:٩).

مجيء طائر السنونو عادةً لا يطرد الشتاء بسهولة [١]، بقدر ما تطرد فترة الصوم شتاء الأهواء. فَلَا تُوجَدُ حَرْبٌ لِلنَّفْسِ ضِدَّ حَرْبِ الْجَسَدِ، إِذْ لَا تَتَمَرَّدُ الْعَبْدَةُ عَلَى سَيِّدَتِهَا [٢]، بَلْ تَتَوَقَّفُ تَمَامًا عَنِ الْحَرْبِ.

ما دام لدينا سلام وهدوء عظيم، فدعونا نُبحِر بمركب العلم، ناقلين أسماعنا الهادئة من ميناء إلى ميناء. ليتنا نبدأ في الانشغال بالمعاني السامية متأملين في السماء والأرض والبحر وكُلّ عناصر الخليقة الأخرى. لأنَّ هذه الأمور قد قُرئت علينا اليوم. [٣].

الخَلِيقَةُ كَوَسِيلَةٍ لِمَعْرِفَةِ الخَالِقِ:

(وقد يتساءل المرء قائلًا): **ما أهمية التحدُث عن الخليقة؟** فأقول بكل تأكيد: إنَّ الأمر يهمُّنا، يا أحبَّائي، لأنَّه يُمكِّننا من رؤية الخالق من خلال عظمة وجمال الخليقة، فبقدر اهتمامنا وانشغالنا بعظمة الخليقة، يقودنا ذلك بشكل أكبر إلى الخالق نفسه. فإنَّه لصلاح عظيم أنْ نعرفَ ماهيَّة الخليقة ومنْ هو الخالق؟ ما هو العمل (المخلوق)؟ ومن هو المُبدِع؟ لأنَّ أعداءَ الحقِّ لو كانوا يعرفون كيفيَّة التمييز بينهما بدِقَّة، ما كانوا ليخلطوا كُلّ الأشياء معًا، قالبين الأمور رأسًا على عقب، ليس لأنهم أنزلوا النجوم والسماء لأسفل، ورفعوا الأرض لأعلى، بل لأنهم أنزلوا **ملك السموات من العرش الملوكي** وأقاموه بين المخلوقات، بينما تلك المخلوقات كرَّموها بكرامات الألوهيَّة.

فلو أنَّ أتباع **ماني**[٤] عرفوا أنْ يقدموا تعليمًا سليمًا عن الخليقة، ما كان ليُكرِّموها ويخصُّوها بصفات غير المخلوق، تلك المخلوقات التي جاءت من العدم، التي تفنى وتتغير ومصيرها الاضمحلال.

فلو أنَّ اليونانيِّين (أي الوثنيِّين) عرفوا أنْ يقدموا تعليمًا صحيحًا عن الخليقة، مَا كَانُوا لِيَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَيُكَرِّمُونَ الْخَلِيقَةَ وَيَعْبُدُونَهَا بَدَلًا مِنْ خَالِقِهَا. فالسماء رائعة، لذلك خُلِقَت لتسجد لخالقها. والشمس متلألئة، لكنها خُلِقَت لتتعبَّد لبارئها؛ أما إذا بقيت متأمِّلًا في عجيبة الخليقة، وتوقفت عند جمال المخلوقات، فإنَّ النور سيصبح لك **ظلامًا**، أو بالأحرى تكون قد حولت **النور** إلى **ظلمة**.

فَائِدَةُ الحَدِيثِ عَنْ الخَلْقِ.:

أرَأَيْتَ كم هو صالحٌ أنْ تعرفَ علَّةَ وسببَ الخلقِ؟ فلا تتغافل عن تلك الفائدة إذن، ولكن انتبه للكلمة بكُلِّ اهتمام، لأنَّنا لنْ نتحدث فقط عن السماء والأرض والبحر، وَلَكِنْ أَيْضًا عن خَلْقِنا الخاصِّ ووجودِنا، ومن أينَ أتى الموتُ، ولأيِّ سببٍ الحياةُ مِلْئُها الأتعابُ، ومن

أينَ تأتي الضيقاتُ والهمومُ؟ وأَيْضًا كيفَ تأتينا العنايةُ الإلهيَّةُ؟ إذْ إنَّ الله قَدَّمَ شَرْحًا لِأَسْبَابِ كُلِّ ذٰلِكَ، وَلِأُمُورٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ، وأَرسَلَ لَنَا هٰذَا السِّفْرَ، سِفْرَ التَّكْوِينِ، لأنَّ الله لا يتحاشى أن يتحاجج مع البشر، بل يصرخ بواسطة النبي قائلًا: «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ.» (أشعياء ١٨:١). فهو لا يُحاجج ويدين فحسب، بل يعلِّمنا أيضًا كيف نتجنَّب الدينونة، لأنَّهُ لم يقل فحسب: «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ» بَلْ يُعَلِّمُنَا أَوَّلًا مَا يَجِبُ أَنْ نَقُولَهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَهٰكَذَا يُقُودُنَا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. ٱسْمَعْ أَوَّلًا ٱلْكَلِمَةَ ٱلنَّبَوِيَّةَ: «اغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ.» (أش١ :١٦-١٧) (٥). بعد أنْ قال هذا، أضاف قائلًا: «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ.» (أشعياء١٨:١). وكأنَّه يقول: لا أريد أنْ آحذكم مجرَّدين ومحرومين من حقوقكم، بل مُسلِّحًا إياكم بالحجج والبراهين. هٰكَذَا أَدْعُوكُمْ لِتَحَمُّلِ ٱلْمَسْؤُولِيَّةِ، وَأَيْضًا أُودُّ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَكُمْ لَا لِكَيْ أُدِينَكُمْ، بَلْ كَيْ أَتَحَنَّنَ عَلَيْكُمْ. وهكذا يقول في موضع آخر: «ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعًا. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ.» (أشعياء٤٣:٢٦). **أَلَدَيْكَ مُشْتَكٍ قَاسٍ وَصَعْبُ المِيرَاسِ (ذُو شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ)؟ إِلْحَقْ وَاخْطَفْ مَكَانَهُ وَسُدَّ فَمَهُ الوَقِحَ.** (٦).

٢– منذُ البداية إذن، والله يتحدث بنفسه مع البشر كُلَّما أمكنهم سماعه. فهكذا اقترب وتحدث مع آدم، وأظهر الله رحمة عظيمة تُجاه **قايين** (تك ٤:٦-٧)، وبالمثل تحاور مع نوح، وقَبِلَ ضيافة **إبراهيم**. لأنَّ طبيعتنا قد **جَنَحَت للشر** وفصلت نفسها، وكأنها في منفى بعيد، وهو يُرسل لنا رسائل لتجديد صداقته القديمة معنا، وكأنَّنا في هجرة بعيدة. وهذه الرسائل قد بعثها الله، وقدمها لنا موسى. فماذا تقول إذن هذه الرسائل؟: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.» (تك ١:١).

فَلِماذا لَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَالْكَائِنَاتِ الرُّوحِيَّةِ؟

لِأَيِّ سَبَبٍ لَمْ يُحَدِّثْنَا عَنْ ٱلْمَلَائِكَةِ وَلَا عَنْ رُؤَسَاءِ ٱلْمَلَائِكَةِ؟ لأنَّه إنْ كانَ الخَالِقُ يُعْرَفُ أكثرَ من المخلوقاتِ، فبالحَرِيِّ يَظْهَرُ جَلِيًّا من خلالِ تلكَ الكائناتِ الروحيَّةِ. فالسَّماءُ حَسَنَةٌ، ولكنْ لَيْسَتْ حَسَنَةً مُقَارَنَةً بِالملاكِ، والشَّمْسُ لامِعَةٌ، ولكنْ لَيْسَتْ مُقَارَنَةً بِلمَعَانِ رَئِيسِ الملائكةِ.

لأيِّ سببٍ إذن ترك الله الطريق الأسمى وقادنا إلى الطريق الأدنى؟ لأنَّه كان يُحَدِّثُ اليهودَ الذين كانوا غير مُدركين للأمور الروحيَّة وكانوا مُعتادين على الأمور الحسيَّة، إذْ خرجوا لتوِّهم من مصرَ، حيث كان الناس **يعبدون التماسيح وكلابًا وقرودًا**، وما كان من الممكن أنْ يقودهم (موسى النبي) إلى **الخالقِ** بالطريق الروحي الأكثر سُمُوًّا. لأنَّ ذلك الطريق، وإن كان أكثر سُمُوًّا، فهو أيضًا أكثر صعوبة، وصعوده شاق وصعب على الضعفاء روحيًّا، لذلك قادهم إلى الطريق الأكثر سهولة: الحَدِيثُ عَنْ **السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَكُلِّ الْخَلِيقَةِ الْمَنْظُورَةِ**. وللبرهان على أنَّ هذا هو السبب، اسمع كيف يتحدث إليهم النبي عن تلك القوات السماويَّة عندما حقَّقوا بعض التقدم الروحي الطفيف، فيقول: «سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ. سَبِّحُوهُ فِي الأَعَالِي. سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلاَئِكَتِهِ. سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ قُوَّاتِهِ...لِتُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ» (مز ١٤٨:١-٥).

ولكن ما هو العجب في كون العهد القديم يُطَبِّق هذه الطريقة في التعليم، في حين أنَّنا نجد نفس الأسلوب في العهد الجديد – وهو العصر الذي يتسم بالتعاليم الأكثر سُمُوًّا – إذ نجد أنَّ **بولس** يتحدَّث مع **أهل أثينا** مُستخدمًا نفس الأسلوب في التعليم، وهو ذات الأسلوب الذي استخدمه **موسى** في تعليم اليهود. لكنَّ **القديس بولس** لم يتحدَّث عن الملائكة ولا رؤساء الملائكة، بل عن السماء والأرض والبحر، قائلًا الآتي: «الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي» (أعمال ١٧:٢٤). وَلٰكِنْ عِنْدَمَا كَتَبَ **لِأَهْلِ فِيلِبِّي**(٧) لَمْ يَقُدْهُمْ بِهٰذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي التَّعْلِيمِ، وَإِنَّمَا نَقَلَهُمْ إِلَىٰ مُسْتَوًى أَعْلَىٰ مِنَ التَّعْلِيمِ قَائِلًا ٱلْآتِيَ: «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.» (كولوسي ١٦:١). وهكذا أيضًا، **يوحنا (الإنجيلي)**، إذْ كان تلاميذه أكثر نُضجًا رُوحيًّا، ذكر المخلوقات السماويَّة مع جميع المخلوقات الأخرى، لأنَّهُ لم يقل السماء والأرض والبحر، بل: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.» (يوحنا ١:٣). مُتَحَدِّثًا عَمَّا يُرَى وَمَا لَا يُرَى. كما يحدث تمامًا مع المُعَلِّمِينَ، فتجد أنَّ المُعَلِّمَ الذي يأخذ الصَّبِيَّ من أُمِّهِ، يُعَلِّمُهُ أَوَّلًا الحُرُوفَ. أما المُعَلِّمُ الذي يأخذ الصَّبِيَّ من مُعَلِّمٍ آخَرَ، الذي كان قبله، فَإِنَّهُ يَقُودُ التِّلْمِيذَ إِلَىٰ مُسْتَوًى أَعْلَىٰ فِي التَّعْلِيمِ. هٰكَذَا حَدَثَ مَعَ **مُوسَى وَبُولُس وَيُوحَنَّا**. لِأَنَّ **مُوسَى** وَضَعَ فِي حِسَابِهِ طَبِيعَتَنَا الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ شَيْئًا، إِذْ كَانَتْ قَدْ فُطِمَتْ لِلتَّوِّ عَنِ اللَّبَنِ، فَعَلَّمَهَا أَوَّلًا الْمَبَادِئَ الْأَسَاسِيَّةَ لِمَعْرِفَةِ الله. أَمَّا **يُوحَنَّا وَبُولُس**، فَلِأَنَّهُمَا اسْتَلَمَا الشَّعْبَ الْيَهُودِيَّ مِنْ **مُوسَى** كَمَنْ يَسْتَلِمُ تَلامِيذَ مِنْ مُعَلِّمٍ، فَقَدْ قَادَاهُمْ إِلَى التَّعْلِيمِ الْأَكْثَرِ سُمُوًّا، مُذَكِّرِينَ إِيَّاهُمْ بِاقْتِضَابٍ بِالتَّعَالِيمِ السَّابِقَةِ.

أَرَأَيْتَ الْقَرَابَةَ بَيْنَ الْعَهْدَيْنِ؟ أَرَأَيْتَ التَّوَافُقَ بَيْنَ التَّعْلِيمَيْنِ؟ أَسَمِعْتَ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجِسِّيَّةِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَعَنِ الْكَائِنَاتِ الرُّوحِيَّةِ؟ فَالنَّبِيُّ دَاوُدُ يَقُولُ: «لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ» (مزمور ١٤٨:٥). هكذا أيضًا في العهدِ الجديدِ، بعدَ أنْ تحدَّثَ عن القوَّاتِ التي لا تُرى (أي الكائناتِ الروحيَّةِ كالمَلائكةِ ورُؤساءِ المَلائكةِ)، حينئذٍ تحدَّثَ عن المخلوقاتِ المنظورةِ.

الخَلْقُ مِنَ العَدَمِ.:

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.» (تك ١:١)؛ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُقْتَضَبَةٌ وَبَسِيطَةٌ وَفَرِيدَةٌ، وَلٰكِنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تُحَطِّمَ كُلَّ حُصُونِ الْعَدُوِّ. ٱنتَبِهْ إِذَنْ، فَقَدْ يَأْتِي أَحَدُ أَتْبَاعِ **ماني** وَيَدَّعِي أَنَّ الْمَادَّةَ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ. فَقُلْ لَهُ: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.» (تك ١:١)؛ وَحَطِّمْ حالًا كُلَّ كِبْرِيَاءٍ لَهُ. وَلٰكِنْ إِنْ قَالَ: «لَا أُؤْمِنُ بِكَلَامِ الْكِتَابِ»، فَلْتَصُدَّهُ وَتَرُدَّهُ على أَنَّهُ مَخْبُولٌ؛ لأنَّ الذي لا يُؤْمِنُ بِكَلَامِ الله وَيَعْتَبِرُ أَنَّ **الحَقَّ** مِثْلَ **الكَذِبِ**، فَكَيْفَ لا يُعَدُّ عَدَمُ إِيمَانِهِ مِثَالًا جَلِيًّا عَلَى خَبَلِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ شَيْءٌ مِنَ العَدَمِ؟ فَمِنْ

فَضْلِكَ أَخْبِرْنِي كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ شَيْءٌ مِنْ مَادَّةٍ سَابِقَةِ الْوُجُودِ؟ لِأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُؤْمِنُ بِخَلْقِ الْأَرْضِ مِنَ الْعَدَمِ بَيْنَمَا تَتَشَكَّكُ أَنْتَ فِي ذَلِكَ، فَمَاذَا عَنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ (تُرَابِ) الْأَرْضِ، وَهُوَ أَمْرٌ نَقْبَلُهُ نَحْنُ الْإِثْنَانِ؟ فَلْتُجِبْ إِذًا عَمَّا نَقْبَلُهُ نَحْنُ الْإِثْنَانِ وَهُوَ أَمْرٌ أَسْهَلُ. أَعْنِي: كَيْفَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ قَدْ صَارَتْ مِنَ التُّرَابِ؟ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَرْضِ يَصِيرُ الطِّينُ وَالطُّوبُ وَالْقِرْمِيدُ وَالْأَوَانِي الْفَخَّارِيَّةُ، وَلَكِنْ أَحَدًا لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَرَى لَحْمًا مِنَ الْأَرْضِ. فَكَيْفَ صَارَتْ إِذًا الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ؟ كَيْفَ تَشَكَّلَتِ الْعِظَامُ وَالْأَعْصَابُ وَالْأَوْرِدَةُ وَالشَّرَايِينُ وَالْأَغْشِيَةُ وَالدُّهْنُ وَاللَّحْمُ وَالْجِلْدُ وَالْأَظَافِرُ وَالشَّعْرُ، وَمَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ مِنْ عَنَاصِرِ الْجَسَدِ، مِنْ أَرْضٍ وُجِدَتْ مِنْ قَبْلُ؟ وَلَكِنْ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُجِيبَ. فَكَيْفَ إِذًا لَا يَكُونُ مِنَ الْهُرَاءِ أَنْ تَجْهَلَ الْأَكْثَرَ وُضُوحًا وَسُهُولَةً، ثُمَّ تَفْحَصَ وَتُدَقِّقَ فِي الْأَصْعَبِ وَغَيْرِ الْمَفْهُومِ.

٣– أَوْ هَلْ تَرْغَبُ أَنْ أَقُودَكَ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ أَسْهَلَ وَيَحْدُثُ مَعَكَ يَوْمِيًّا؟ وَلَكِنْ وَلَا حَتَّى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ سَوْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُجِيبَنِي عَنْ سَبَبِهِ. فَيَوْمِيًّا نَأْكُلُ الْخُبْزَ، فَقُلْ لِي: كَيْفَ إِذَنْ تَتَحَوَّلُ طَبِيعَةُ الْخُبْزِ إِلَى الدَّمِ وَالْمُخَاطِ وَالصَّفْرَاءِ وَبَاقِي الْعَنَاصِرِ الْمَوْجُودَةِ فِي جَسَدِنَا؟ لِأَنَّ الْخُبْزَ صُلْبٌ وَجَامِدٌ، فِي حِينِ أَنَّ الدَّمَ سَائِلٌ وَلَيِّنٌ. وَالْخُبْزَ أَبْيَضُ أَوْ قُمْحِيٌّ، فِي حِينِ أَنَّ الدَّمَ أَحْمَرُ أَوْ أَحْمَرُ قَانِيٌ. وَبَاقِي الْعَنَاصِرِ الْأُخْرَى الَّتِي لَوْ فَحَصَ الْمَرْءُ اخْتِلَافَاتِ مَا بَيْنَهَا، فَسَوْفَ يَجِدُ فَارِقًا كَبِيرًا بَيْنَ الدَّمِ وَالْخُبْزِ. فَقُلْ لِي إِذَنْ: كَيْفَ يَصِيرُ كُلُّ هَذَا وَاشْرَحْ السَّبَبَ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ. ثُمَّ أَنَّكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى شَرْحِ التَّغَيُّرِ الْحَادِثِ يَوْمِيًّا عَلَى الْأَطْعِمَةِ (فِي أَجْسَادِنَا). هَلْ تُرِيدُنِي أَنْ أُشْرِحَ لَكَ عَمَلَ اللهِ فِي الْخَلْقِ؟ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا أَسْوَأَ مِثَالٍ عَلَى عَدَمِ التَّعَقُّلِ؟

لا يُمْكِنُ تَعْلِيلُ أَفْعَالِ اللهِ فِي الخَلْقِ، لِأَنَّهُ حَتَّى أَفْعَالُ البَشَرِ أَحْيَانًا نَفْشَلُ فِي تَفْسِيرِهَا:

فِي الْوَاقِعِ، لَوْ كَانَ اللهُ مُمَاثِلًا لَنَا، فَلْتَطْلُبْ حِينَئِذٍ سَبَبًا لِأَفْعَالِهِ، وَلَكِنْ غَالِبًا حَتَّى لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ إِيجَادَ تَفْسِيرٍ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ التِّقْنِيَّةِ لِلطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ لَا نَسْتَطِيعُ إِيجَادَ تَفْسِيرٍ عَنْ سَبَبِ صِيرُورَتِهَا. وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ: لَوْ أَنَّ اللهَ مُمَاثِلٌ لَنَا، فَلْتَطْلُبْ إِذَنْ تَفْسِيرًا لِعِلَّةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. أَمَّا إِنْ كَانَ يَخْتَلِفُ عَنَّا لِأَبْعَدِ الْحُدُودِ، وَيَسْمُو عَنْ أَنْ يُقَارَنَ بِنَا، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَكْبَرَ مِثَالٍ لِلْحَمَاقَةِ أَنْ نَعْتَرِفَ مِنْ نَاحِيَةٍ بِأَنَّ حِكْمَتَهُ وَقُوَّتَهُ غَيْرُ مَحْدُودَتَيْنِ، وَطَبِيعَتَهُ الْإِلٰهِيَّةُ غَيْرُ مُدْرَكَةٍ، وَأَنْ نَأْتِيَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى وَنُحَاسِبَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُحْدِثُهُ كَمَا لَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَخْتَصُّ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ؟

وَلَكِنْ لِنَتْرُكْ تِلْكَ الْهَوَاجِسَ وَلْنَعُدْ إِلَى الصَّخْرَةِ الصُّلْبَةِ (الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّهُ): «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.» (تك١:١). وَعَلَى هٰذَا الْأَسَاسِ قِفْ وَلَا تَجْعَلْ أَيَّ شَخْصٍ يُلْقِيكَ فِي لُجَّةِ الْأَفْكَارِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُضْطَرِبَةِ.: «لِأَنَّ هَوَاجِسَ الْبَشَرِ خَبِيثَةٌ وَأَفْكَارَهُمْ خَاطِئَةٌ وَغَيْرُ آمِنَةٍ» (حكمة ٩:١٤)[٨]. فَلَا تَتْرُكْ مَا هُوَ رَاسِخٌ وَتَسْتَأْمِنُ خَلَاصَ نَفْسِكَ عَلَى مَا هُوَ هَشٌّ وَغَيْرُ آمِنٍ. «وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ.» (٢تيموثاوس٣:١٤). إذ يقول:

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.» (تك١:١). فإنْ اقترب أحدًا منكَ سواء من أتباع **ماني** أو **ماركيون**[٩] أو أولئك الذين يعانون من تعاليم **فالانتينوس**[١٠] **السقيمة** أو أيِّ شخص آخر، أَعْرِضْ عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْلَ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ يَضْحَكُ، فَلْتَبْكِ أَنْتَ لِأَجْلِهِ، لِأَنَّهُ أَحْمَقُ. فَأُولَئِكَ لَهُمْ لَوْنٌ أَصْفَرُ، وَمُقَطَّبَةٌ حَوَاجِبُ أَعْيُنِهِمْ، وَكَلَامُهُمْ مُمْلُوءٌ مِنَ النَّعُومَةِ، لَكِنْ تَجَنَّبِ الطُّعْمَ، وَمَيِّزِ الذِّئْبَ الَّذِي يَخْتَفِي تَحْتَ جِلْدِ الْحَمَلِ. لِذَلِكَ أَنْتَ تَمْقُتُهُ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لَكَ يَظْهَرُ كَأَنَّهُ شَرِيكٌ فِي الْعُبُودِيَّةِ (للهِ) وَمُمْتَلِئٌ وَدَاعَةً وَأُلْفَةً، وَفِي حِينِ أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِرَبِّنَا كُلِّنَا هُوَ مُتَوَحِّشٌ وَمِنَ الْكِلَابِ الْمَسْعُورَةِ، إِذْ يُعْلِنُ ضِدَّ السَّمَاءِ مَعَرَكَةً بِلَا إِنْذَارٍ وَحَرْبًا بِلَا هُدْنَةٍ، مُسْتَبْدِلًا اللهَ بِقُوَّةٍ مُضَادَّةٍ لَهُ. فَلْتَتَجَنَّبْ إِذَنْ سُمَّ الشُّرُورِ، وَلْتَكْرَهِ الدَّوَاءَ السَّامَّ. أَمَّا الْمِيرَاثُ الَّذِي وَرِثْتَهُ مِنَ الْآبَاءِ، أَيِ الْإِيمَانُ وَالتَّعْلِيمُ الَّذِي يَنْبَعُ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلٰهِيَةِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِهِ بِحِرْصٍ شَدِيدٍ.

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.» (تك١:١). ماذا يَعْنِي هَذَا؟! أَخَلَقَ أَوَّلًا السَّمَاوَاتِ وَبَعْدَ ذَلِكَ الْأَرْضَ؟ هَلْ خَلَقَ أَوَّلًا السَّقْفَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَاعِدَةَ؟ إِنَّ اللهَ لَيْسَ خَاضِعًا لِمَا يَقْتَضِيهِ التَّرْتِيبُ الطَّبِيعِيُّ، وَلَا يُذْعِنُ لِلْقَوَانِينِ الْفَنِّيَّةِ، لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ هِيَ إِرَادَةُ الْخَالِقِ وَمُبْدِعِ الطَّبِيعَةِ وَالْأَعْمَالِ الْفَنِّيَّةِ وَكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ بِشَكْلٍ عَامٍ.

لماذا خَلَقَ السَّمَاءَ دُفْعَةً وَاحِدَةً، فِيمَا شَرَحَ تَفْصِيلًا مُكَوِّنَاتِ الأَرْضِ؟:

«وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً» (تكوين ١:٢). فَلِأَيِّ سَبَبٍ يَا تُرَى خَلَقَ السَّمَاءَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، بَيْنَمَا الْأَرْضَ صَنَعَهَا بِشَكْلٍ مُتَدَرِّجٍ كَمَا قَالَ مُوسَى؟. خَلَقَهَا بِهَدَفِ مَعْرِفَةِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْعُنْصُرِ الْأَسْمَى – أَيِ السَّمَاءِ – فَتَكُونُ مُقْتَنِعًا أَنَّهُ لَدَيْهِ الْمَقْدِرَةُ عَلَى أَنْ يَصْنَعَ الْأَرْضَ كَامِلَةً مُنْذُ الْبِدَايَةِ مِثْلَ السَّمَاءِ، غَيْرَ أَنَّهُ لِأَجْلِكَ وَلِأَجْلِ خَلَاصِكَ لَمْ يَفْعَلْ هَكَذَا! فَإِنْ قُلْتَ لِي: كَيْفَ إِذًا لِأَجْلِي وَلِأَجْلِ خَلَاصِي لَمْ يَفْعَلْ هَكَذَا؟

ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ هِيَ مَائِدَتُنَا وَوَطَنُنَا وَطَعَامُنَا وَأُمُّنَا أَجْمَعِينَ، فَهِيَ مَدِينَتُنَا وَقَبْرُنَا كُلُّنَا، إِذْ أَنَّ أَجْسَادَنَا قَدْ أَتَتْ مِنْهَا، وَطَعَامُ أَجْسَادِنَا نُخْرِجُهُ مِنْهَا، وَفِيهَا نَسْكُنُ وَنَحْيَا، وَبَعْدَ مَوْتِنَا نَعُودُ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَهَكَذَا لِكَيْ لَا يَجْعَلَكَ تَتَقَبَّلُ بِشَكْلٍ اضْطِرَارِيٍّ فَائِدَةَ الْأَرْضِ، وَيَجْعَلَكَ تَندهَشُ أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ، وَيَجْرِفُكَ تَعَدُّدُ خَيْرَاتِهَا إِلَى عَدَمِ التَّقْوَى، فَيُظْهِرُهَا لَكَ خَرِبَةً وَخَالِيَةً. ﴿«ἀόρατος καὶ ἀκατασκεύαστος» (أَوْراتوس كي أَكاتاسكيفاستوس «غير منظورة أو مرئيّة، وغير مصنّعة أو مُشكّلة أو مبنيّة» (بلا جمال أو شكل = في الترجمة السبعينيّة)﴾ ؛ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَهَا مُتَكَامِلَةً، حَتَّى عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَى ضَعْفِهَا الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ، تَتَعَجَّبُ مِنْ ذَاكَ الَّذِي خَلَقَهَا، وَوَضَعَ فِيهَا كُلَّ هَذِهِ الْقُوَّةِ، كَيْ تُمَجِّدَ ذَلِكَ الَّذِي صَنَعَ كُلَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ لِرَاحَتِنَا. لِتُمَجِّدَ اللهَ لَيْسَ فَقَطْ نَظَرِيًّا بِالْمُعْتَقَدِ الْقَوِيمِ، وَلَكِنْ بِالسُّلُوكِ وَالْمَعِيشَةِ الْفَاضِلَةِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هٰكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى ٥:١٦).

خَاتِمَةٌ عن أَهَمِّيَّةِ عَمَلِ الرَّحْمَةِ:

٤– كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ عَمَلِ الرَّحْمَةِ، غَيْرَ أَنَّنِي أَرَى أَنَّهُ مِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ بِالْكَلَامِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي فِي وَسَطِنَا يُوجَدُ ذَلِكَ

ٱلْقَادِرُ أَنْ يُعَلِّمَنَا بِأَعْمَالِهِ، أَبِينَا كُلُّنَا وَمُعَلِّمَنَا (١١)، ٱلَّذِي بَيْتُهُ ٱلأَبَوِيُّ كَأَنَّهُ ٱسْتَلَمَهُ مِنْ أَسْلاَفِهِ لِهَذَا ٱلهَدَفِ، لِيُقَدِّمَهُ لِخِدْمَةِ ٱلْغُرَبَاءِ وَجَعَلَهُ مَفْتُوحًا عَلَى ٱلدَّوَامِ لِلَّذِينَ كَانُوا مَطْرُودِينَ بِسَبَبِ ٱلحَقِّ، وَٱسْتَقْبَلَهُمْ وَأَحَاطَهُمْ بِكُلِّ عِنَايَةٍ بِكَافَّةِ ٱلطُّرُقِ. لِدَرَجَةٍ أَنَّنِي لاَ أَعْرِفُ إِنْ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى بَيْتُهُ بِأَنَّهُ فِعْلاً «بَيْتُهُ» أَمْ «بَيْتُ ٱلْغُرَبَاءِ» أَمْ بِالْحَرِيِّ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى «مُلْكُهُ»، لِأَنَّهُ مُلْكُ ٱلْغُرَبَاءِ. فِي ٱلْوَاقِعِ أَمْلاَكُنَا تَكُونُ مِلْكَنَا لَيْسَ عِنْدَمَا تَكُونُ فِي حَوْزَتِنَا نَحْنُ، إِنَّمَا عِنْدَمَا تَكُونُ لِلْفُقَرَاءِ، وَلَكِنْ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ يَكُونُ هَذَا؟ أَقُولُ لَكَ، عِنْدَمَا تَضَعُ أَمْوَالَكَ فِي يَمِينِ ٱلفَقِيرِ، فَلَنْ يُهَاجِمَكَ مُغْتَابٌ (١٢) ، وَلَنْ تَنْظُرَكَ عَيْنٌ حَاسِدَةٌ، وَلَنْ يَسْلُبَكَ لِصٌّ، وَٱلْمُجْرِمُ لَنْ يَهْجُمَ عَلَيْكَ لِيَخْطِفَ أَمْوَالَكَ، وَٱلْعَبْدُ لَنْ يَسْرِقَكَ وَيَفِرَّ هَارِبًا، لِأَنَّ خَزِينَةَ أَمْوَالِكَ تِلْكَ (ٱلَّتِي وَهَبْتَهَا لِلْفُقَرَاءِ) هِيَ مَلْجَأٌ وَحِمًى لاَ يُخْتَرَقُ. وَلَكِنْ إِنْ أَخْفَيْتَهَا فِي بَيْتِكَ، عِنْدَئِذٍ سَتَتْرُكُ أَمْوَالَكَ فِي تَصَرُّفِ ٱللِّصِّ وَٱلْمُجْرِمِ وَٱلْحَاسِدِ وَٱلْمُتَكَلِّمِ بِالسُّوءِ وَٱلْعَبْدِ؛ وَهَكَذَا تَكُونُ هَذِهِ ٱلأَمْوَالُ مُعَرَّضَةً لِلتَّلَفِ. فِي كَثِيرٍ مِنَ المَرَّاتِ، عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلأَمْوَالَ تَكُونُ مُؤَمَّنَةً بِأَبْوَابٍ عِدَّةٍ وَأَقْفَالٍ، لِتَحْفَظَهَا مِنَ الأَخْطَارِ ٱلْخَارِجِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ تَحْفَظُهَا مِنَ ٱلقَائِمِينَ عَلَى حِرَاسَتِهَا حَيْثُ يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا وَيَفِرُّونَ بِهَا هَارِبِينَ.

أَرَأَيْتَ كَيْفَ عِنْدَئِذٍ نَكُونُ أَسْيَادًا عَلَى أَمْلاَكِنَا، عِنْدَمَا نُعْطِيهَا لِلْفُقَرَاءِ؟ هَذَا ٱلطَّرِيقُ (ٱلْعَطَاءُ) لَيْسَ فَقَطْ آمِنًا مِنْ جِهَةِ ٱلْحِرَاسَةِ وَٱلْحِفْظِ، وَلَكِنَّهُ صَارَ سَبَبًا لِفَائِدَةٍ وَمَكْسَبٍ أَعْظَمَ. لأَنَّهُ عِنْدَمَا تُقْرِضُ مَالَكَ لِإِنْسَانٍ، فَإِنَّكَ سَتَنَالُ مَثَلاً فَائِدَةً وَاحِدَةً فِي ٱلْمِئَةِ، أَمَّا إِذَا أَقْرَضْتَ ٱللهَ مِنْ خِلاَلِ ٱلْفَقِيرِ، فَسَتَنَالُ فَائِدَةً لَيْسَتْ وَاحِدَةً فِي ٱلْمِئَةِ بَلْ مَائَةُ ضِعْفٍ. فَإِنْ كُنتَ تَزْرَعُ حَقْلاً حَصِبًا، فَعِنْدَمَا تُنْتِجُ حَصَادًا كَبِيرًا، فَسَوْفَ تَحْصُدُ ثِمَارًا عَشَرَةَ أَضْعَافٍ أَوْ حَتَّى ضِعْفَ ذٰلِكَ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ فِلاَحَتُكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَإِنَّهُ بِخِلاَفِ عَشَرَاتِ ٱلأَضْعَافِ مِنَ ٱلثِّمَارِ، فَإِنَّكَ عَلاَوَةً عَلَى ذٰلِكَ سَتَنَالُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً خَالِدَةً وَغَيْرَ بَائِدَةٍ فَإِنَّهُ (عَلَى ٱلأَرْضِ) ٱلتَّعَبُ عَظِيمٌ لِأُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَزْرَعُونَ ٱلْبُذُورَ، فِيمَا هُوَ هُنَاكَ (فِي ٱلسَّمَاءِ)، فَبِدُونِ احْتِيَاجٍ لِحَرْثٍ أَوْ ثِيرَانٍ أَوْ مُزَارِعِينَ أَوْ أَيٍّ مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ ٱلأُخْرَى. وَمِنْ غَيْرِ ٱلْمُمْكِنِ أَنْ نَزْرَعَ هُنَاكَ (فِي ٱلسَّمَاءِ) وَنَخَافَ ٱلْجَفَافَ أَوْ هُطُولَ ٱلسَّيُولِ أَوْ أَيٍّ مِنْ آفَاتِ ٱلنَّبَاتِ (آفَةُ ٱلسُّنَّاجِ ٱلَّذِي يُصِيبُ ٱلْحِنْطَةَ)، وَلاَ مِنَ ٱلْبَرْدِ أَوْ مِنْ أَسْرَابِ ٱلْجَرَادِ أَوْ مِنْ فَيَضَانِ ٱلأَنْهَارِ أَوْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. وَلٰكِنْ زَرْعُهُمْ هُنَاكَ يَكُونُ بَعِيدًا عَنْ أَيِّ ضَرَرٍ. إِذًا، عِنْدَمَا لاَ يُوجَدُ تَعَبٌ أَوْ خَطَرٌ وَلاَ ٱرْتِيَابٌ أَوْ أَيُّ فَشَلٍ، وَيَصِيرُ مَا يَنْمُو أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلَّذِي يُزْرَعُ، وَتُغْدَقُ أَيْضًا خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ. «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ ٱللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كور٢:٩).كَيْفَ لاَ يَكُونُ مِثَالاً لِأَسْوَإِ لاَمُبَالَةٍ أَنْ نَسْعَى لِلْقَلِيلِ، وَنَتْرُكَ الْكَثِيرَ، وَأَنْ نَهْجُرَ الْآمِنَ، وَنَطْلُبَ الْمُتَقَلِّبَ الْمَمْلُوءَ مِنَ الْأَخْطَارِ وَالْحَاوِي لِكَثِيرٍ مِنَ الْإِخْفَاقِ؟ لِأَنَّ أَيُّ عُذْرٍ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ فَعَلْنَا هَذَا؟ وَأَيُّ حُجَّةٍ سَنَدَافِعُ بِهَا؟ بِلاَ شَكٍّ، نَتَحَجَّجُ بِفَقْرِنَا كَعُذْرٍ لَنَا، وَلٰكِنَّنَا لَسْنَا أَفْقَرَ مِنَ الْأَرْمَلَةِ الَّتِي كَانَ مَعَهَا فَقَطْ فِلْسَانِ، وَقَدَّمَتْهُمَا.

لَيْتَنَا نُظْهِرُ إِذًا غَيْرَةً مِنْ غِنَى تِلْكَ ٱلْمَرْأَةِ، دَعُونَا نُقَلِّدُ شَهَامَةَ عَزِيمَتِهَا، حَتَّى نَظْفَرَ بِالْخَيْرَاتِ ٱلْمَحْفُوظَةِ لَهَا، تِلْكَ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلَّتِي نَتَمَنَّى جَمِيعًا أَنْ نَنَالَهَا بِٱسْتِحْقَاقٍ، بِصَلَوَاتٍ وَتَشَفُّعَاتِ ٱلْكَهَنَةِ، وَبِنِعْمَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، وَمَحَبَّتِهِ لِلْبَشَرِ ٱلَّتِي تَلِيقُ بِهِ مَعَ ٱلآبِ وَٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ، ٱلْمَجْدُ وَٱلْقُوَّةُ وَٱلْكَرَامَةُ لَهُ، ٱلآنَ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ، وَإِلَى دَهْرِ ٱلدَّاهِرِينَ، آمِينَ.

---

١) السنونو طائرٌ صغيرٌ رشيقٌ، له جناحانِ طويلانِ قويانِ، وساقانِ صغيرتانِ ضعيفتانِ تصلحان فقط لهبوط الطائر. وله منقارٌ صغيرٌ، وهو من الطيور المهاجرة، يطير لمسافاتٍ طويلةٍ تفاديًا للبرد، حيثُ يحلّ في المناطق الدافئة.

٢) المقصود بعبارة «تمرُّدِ العَبْدَةِ على سيِّدَتِها» هو ثورةُ الجَسَدِ ضدَّ الرُّوحِ.

٣) يُوضِّحُ القدِّيسُ يوحنَّا الذَّهبيُّ الفَمِ أنَّ هذا النَّصَّ من سفرِ التَّكوينِ كان من ضِمنِ القِراءاتِ اللِّيتورجيَّةِ لِهذا اليوم.

٤) ظهر **ماني** في القرن الثالث، وقام بتأسيس ديانة خليط من اليهوديَّة والمسيحية وبعض الديانات الآسيوية، واعتقد بوجود إله للخير وآخر للشر، ونادى بأن المادة والجسد شر، وبالتالي رفض قيامة الأجساد، وحرّم الزواج وأكل اللحم.

٥) حسب نصّ الترجمة السبعينيَّة للقديس يوحنا الذهبيّ الفم: «**اغتسلوا، تنقُّوا، ابتعدوا عن شرور نفوسكم، تعلَّموا أن تفعلوا الصلاح، أعطوا حقَّ اليتيم، وانصفوا الأرملة**».

٦) **المشتكي أو المُتَّهِم–كاتيغورون κατήγορον** - هو **إبليس**، والكلمة العبريَّة **שָׂטָן شيطان** تحمل هذا المعنى، ويقابلها باليونانيَّة أيضًا كلمة **ذيافولوس διάβολος** - التي تعني «المفتري»، وكلاهما يعني أنَّ إبليس هو «المشتكي» أو «المفتري» على الإنسان **المُتَّهَم** أمام الله، الذي هو القاضي والديَّان العادل. هنا يحثّنا القديس يوحنا الذهبي الفم على أن نغتصب مكان المشتكي علينا أمام الله؛ أي أن نستبقه بالحديث إلى الله عمَّا يشتكي به علينا، فنُحَدِّثُ اللهَ، ذَاكِرِينَ ضَعْفَنَا وَأَخْطَائِنَا، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ.

٧) في الحقيقة فإنَّ الاقتباس من رسالة كولوسي، وليس فيلبي كما يذكر القديس يوحنا الذهبي الفم.

٨) كثيرًا ما يستخدم القديس يوحنا الذهبي الفم في كتاباته هذا الشاهد من سفر الحكمة، للدلالة على عجز الفكر البشري في استيعاب حكمة الله.

٩) **ماركيون**: كان أحد المفكرين المسيحيِّين في القرن الثاني الميلادي، وهو معروف بتأسيسه لطائفة دينية تعتبر من أوائل **الحركات الهرطوقيَّة** داخل المسيحيَّة. وُلد في حوالي ٨٥ ميلادي في مدينة سينوبي في بونتوس (آسيا الصغرى)؛ نادى بأنَّ العهد القديم ما هو إلَّا تاريخ الأمَّة اليهوديَّة، وأنَّ إله العهد القديم كان قاسيًا، خلق البشر ودفعهم إلى ارتكاب الخطيئة، ثمَّ عاقبهم عليها، ولم يقبل من العهد الجديد سوى إنجيل لوقا، وبعض رسائل بولس. وَصَلَتْ لنا أخباره عن طريق ترتليان الذي كتب خمسة كتب ضِدَه.

١٠) **فالنتينوس**: كان فيلسوفًا مسيحيًّا وأحد المفكرين البارزين في القرنين الثاني والثالث الميلاديَّين. وُلد في مصر حوالي ١٠٠ ميلادي، وكان يُعتقد أنه نشأ في بيئة مسيحيَّة متأثرة بالفلسفات الهيلينيَّة، وخاصة **الفكر الغنوصي**.
فالنتينوس هو مؤسس الحركة الغنوصيَّة المعروفة باسم «فالنتينيَّة»، التي كانت تمثل تيارًا فكريًا يؤمن بأن المعرفة (الغنوسي، γνώση باليونانيَّة) هي الطريق الوحيد للانفصال عن عالم المادة والاتحاد مع الله.

١١) الأسقف فلافيانوس معلِّمًا للقديس يوحنا الذهبيّ الفم.

١٢) الكلمة اليونانيَّة: **συκοφάντης سينكوفانتيس** وهي تعني: مُشَوِّه السمعة، أو المُغتاب، المفتري على الآخرين.

الرحمة

«هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أع ٢٠: ٣٥).

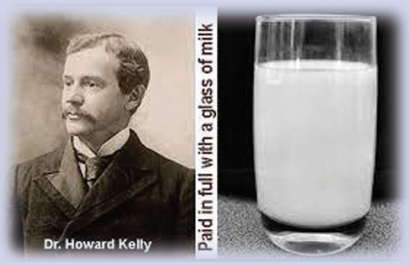

كأس ماء بارد لا يضيع أجره

هذه قصة حقيقيَّة

في أحد الأيام، كان صبي فقير يبيع البضائع من بابٍ الى بابٍ ليدفع مصاريف مدرسته، ولما لم يجد لديه سوى **عشرة سنتات** (**ما يساوي** (**ثلاثون أغورة**) هي الباقية معه، وكان أيضًا جائعًا، قال في نفسه: إنَّهُ قرَّر أنْ يطلبَ تناول وجْبَة طعام من أول منزل يقرع بابه. ومع ذلك، فَقَدْ **فَقَدَ** أعصابه عندما فتحت الباب امرأة شابة طيبة. ولكن بدلًا من طلبِهِ تناول وجبة طعام، سألها فقط عن شَربة ماء. وفكَّرت الشابة في أنَّهُ يبدو جائعًا، فجلبت له كوبًا كبيرًا من اللبن الحليب (يوغورت). وبدأ يشرب ببطء، ثم سألها: «كم من الثمن مطلوب مني»؟

فأجابت: «أنت لستَ مديونًا لي بأيِّ شيء، فأُمِّي علَّمتنا ألَّا نقبل أبدًا ثمنًا للرحمة».

فردَّ عليها: «إذن، أشكرك من كُلِّ قلبي».

فلما غادر الطفل «**هوارد كيلي**» المنزل، أحسَّ بأنَّهُ ليس فقط صار أقوى جسديًّا، بل وأيضًا: صار إيمانه بالله والإنسان أقوى أيضًا، وتهيَّأ للانصراف.

بعد سنوات عديدة، نفس هذه الامرأة الشابة، أُصيبت بحالة صحيَّة حَرِجة. وتحيَّر الأطباء المحليُّون في الاستدلال على حقيقة مَرَضِهَا. فأرسلوها أخيرًا إلى المدينة العاصمة، حيث عرضوها على الإخصائيِّين لدراسة مرضها النادر حدوثه.

ودُعِيَ كبير الأطباء بالمستشفى الدكتور «**هوارد كيلي**» للاستشارة. وعندما سمع اسم المدينة التي جاءت منها، تذكَّر وقد امتلأت عيناه بضوءٍ غريب. وعلى الفور قام من مكتبه ونزل إلى قاعة استقبال المستشفى ثم إلى غرفتها.

وإذ ارتدى ثوبه الطبيّ دخل الغرفة لكي يراها. وفي الحال استطاع أن يُميِّزها أنها هي الامرأة الشابة التي قدَّمت له كوب اللبن وهو بعد طفل!

عاد إلى غرفة الاستشارة وعزم على بذل قُصارى جهده من أجل إنقاذ حياتها. ومن ذلك اليوم أعطى اهتمامًا خاصًّا بحالتها.

وبعد صراع طويل مع المرض، فاز أخيرًا في المعركة.

طلب **الدكتور كيلي** من مكتب الحسابات تمرير الفاتورة النهائيَّة إليه للموافقة عليها. وتطلَّع في الفاتورة، ثم كتب شيئًا على حافة الفاتورة، وتمَّ إرسال فاتورة الحساب إلى غرفتها.

خشيت السيِّدة أن تفتح الفاتورة خوفًا من قيمتها، وكانت واثقة من أنَّ سدادها سيستغرق ما تبقَّى من حياتها لدفع ثمن كُلِّ شيء.

وأخيراً قرَّرت أنْ تطَّلع على الفاتورة، وإذا بشيء ما يُلفت انتباهها على جانب ورقة الفاتورة. قرأت هذه الكلمات:

– «**القيمة مدفوعة بالكامل بكوب واحد من اللبن الحليب**».

توقيع: **الدكتور هوارد كيلي**

انهمرت دموع الفرح من عينيها بينما كان قلبها السعيد يُصلِّي:

– «شُكْرًا لَكَ، يَا اللهُ، إِنَّ حُبَّكَ قَدْ انْتَشَرَ مِنْ خِلَالِ قُلُوبِ الْبَشَرِ وَأَيْدِيهِمْ.».

هناك قول مأثور في الكتاب المقدس: « اِرْمِ خُبْزَكَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ.» (جامعة ١١: ١)، أي يعود لك.

فما تُقدِّمه صدقة أو أي عمل محبَّة اليوم، سيعود عليك في وقت غير متوقَّع.

والدكتور «هوارد كيلي» ***Dr. Howard Kelly*** طبيب بارز، إذ في عام **١٨٩٥م**، أسَّس **قسم جونز هوبكنز Johns Hopkins** للأورام النسائيَّة في **جامعة جونز هوبكنز**. ووفقًا لكاتب سيرة **الدكتور كيلي**، «أودري ديفيس»: كان **الطبيب** «**كيلي**»، وهو صغير السن، في رحلة للمشي عَبْر شمال ولاية بنسلفانيا في يوم ربيعي، عندما توقَّف عند منزل في مزرعة ليطلب شَربة ماء. وقد فتحت له الباب فتاة صغيرة، وبدلاً من الماء، جلبت له كوبًا من اللبن الحليب الطازج. وقد شكرها ثم ذهب في طريقه. وفي وقت لاحق، جاءت الطفلة – وكانت قد كبرت – كمريضة، وكانت بحاجة إلى جراحة، وبعد الجراحة أرسل إلى غرفتها فاتورة المستشفى وكان مكتوبًا عليها عبارة:

– «**مدفوعة بالكامل بكوب واحد من الحليب**».

✝ «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أع ٢٠: ٣٥).

✝ «الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ ... الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ.» (رو١٢: ٨).

✝ «هذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ. كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ.» (٢كو٩: ٦-٧).

أَيُّهَا الشَّيْخُ: لِماذا الإِنسانُ يَعيشُ بِعَدَمِ اكْتِراثٍ لِساعَةِ انْتِقالِهِ مِنْ هٰذا العالَمِ الأَرْضِيِّ **وَكَأَنَّهُ مُخَدَّرٌ**، وَلا يَهْتَمُّ بِساعَةِ الْمَوْتِ الَّتي تُداهِمُهُ فَجْأَةً؟

الشَّيْخُ: سُؤالٌ مُهِمٌّ لِلْغايَةِ وَيَعْكِسُ جانِبًا عَميقًا مِنَ الحَياةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْوُجودِ الإِنْسانِيِّ. هُناكَ عِدَّةُ أَسْبابٍ قَدْ تَجْعَلُ الإِنْسانَ يَعيشُ بِدُونِ اكْتِراثٍ لِساعَةِ انْتِقالِهِ مِنْ هٰذا العالَمِ، وَكَأَنَّهُ مُخَدَّرٌ، وَلا يَهْتَمُّ بِالْمَوْتِ الَّذي قَدْ يَأْتي فَجْأَةً، وَيُمْكِنُ تَلْخيصُ بَعْضِها عَلَى النَّحْوِ التَّالي:

الإِغْراءاتُ الْمادِّيَّةُ: في هٰذا الْعَصْرِ، أَصْبَحَ النَّاسُ يَتَهافَتُونَ وَيَنْكَبُّونَ إِلَى جَمْعِ الْمالِ وَتَحْقيقِ النَّجاحِ الْمادِّيِّ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَيَجْمَعُونَ الْمالَ بِكُلِّ وَسيلَةٍ مُمْكِنَةٍ. وَسائِلُ الإِعْلامِ وَالثَّقافَةِ السّائِدَةِ تُرَوِّجُ لِلأَفْكارِ الَّتي تَدُورُ حَوْلَ التَّمَلُّكِ وَالرَّفاهِيَةِ كَعَلامَاتٍ عَلَى النَّجاحِ.

الإِشْباعُ اللَّحَظِيِّ: الحَياةُ أَصْبَحَتْ سَريعَةً وَمَليئَةً بِالتَّجارِبِ اللَّحَظِيَّةِ الَّتي تُقَدِّمُ شُعُورًا بِالْمُتْعَةِ السَّريعَةِ، مِمَّا يَجْعَلُ النَّاسَ يَنْسَوْنَ أَوْ يَتَجاهَلُونَ التَّفْكيرَ في الْمَدَى الطَّويلِ أَوْ في مَصيرِهِمُ النِّهائِيِّ.

الإِيمانُ بِوَهْمِ الْخُلُودِ: بَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَعيشُونَ حَياةً طَويلَةً وَسَيَتَقَدَّمُونَ في السِّنِّ دُونَ أَنْ يُواجِهُوا الْمَوْتَ بِشَكْلٍ مُفاجِئٍ. هٰذِهِ الْفِكْرَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَدَيْهِمْ وَقْتًا كافِيًا لِلتَّوْبَةِ أَوِ اتِّخاذِ الْقَراراتِ الْهامَّةِ في الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْبَعْضُ يُنْكِرُ الْحَياةَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

الابْتِعادُ عَنِ اللهِ: عِنْدَما يَبْتَعِدُ الإِنْسانُ عَنِ اللهِ أَوْ يَعيشُ حَياةً رُوحِيَّةً بارِدَةً، قَدْ يَفْقِدُ الوَعْيَ بِأَهَمِّيَّةِ حَياتِهِ الرُّوحِيَّةِ، وَيُغْفِلُ عَنْ حَقيقَةِ أَنَّ الْحَياةَ عَلَى الْأَرْضِ هِيَ فَتْرَةٌ مُؤَقَّتَةٌ. مَنْ يَقْتَرِبُ مِنَ اللهِ وَيُدْرِكُ حَقيقَةَ الْمَوْتِ، يَعيشُ دائِمًا مُسْتَعِدًّا لِأَنَّهُ يَتَذَكَّرُ أَنَّ الْحَياةَ الْقَصيرَةَ عَلَى الْأَرْضِ لَيْسَتْ سِوَى مَرْحَلَةٍ إِنْتِقالِيَّةٍ إِلَى الْحَياةِ الأَبَدِيَّةِ.

الرَّغْبَةُ في الاسْتِمْتاعِ بِالْحَياةِ الْمادِّيَّةِ: بَعْضُ الْأَشْخاصِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَياةَ هِيَ مُجَرَّدُ فَتْرَةٍ مِنَ الْمُتْعَةِ وَالْفَرَحِ، وَيَرْكِّزُونَ عَلَى التَّسْلِيَةِ وَالاسْتِمْتاعِ بِاللَّحْظَةِ الرّاهِنَةِ دُونَ التَّفْكيرِ في الْعَواقِبِ أَوْ في ما هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

أَيُّهَا الشَّيْخُ: مَاذَا يُمْكِنُ فِعْلُهُ إِذَنْ؟

الشَّيْخُ: **مَاذَا يُمْكِنُ فِعْلُهُ؟** الْحَياةُ تَتَطَلَّبُ تَوازُنًا بَيْنَ الْعَيْشِ بِسَلامٍ مَعَ اللهِ وَالاهْتِمامِ بِالْجَوانِبِ الرُّوحِيَّةِ وَالاسْتِعْدادِ لِلْمَوْتِ كَمَرْحَلَةِ اجْتِيازٍ إِلَى الْأَبَدِيَّةِ. يَحْتاجُ الإِنْسانُ إِلَى الوَعْيِ بِمَحْدُودِيَّةِ حَياتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَبِالتَّوازي مَعَ السَّعْيِ لِتَحْقيقِ الْأَهْدافِ الْأَرْضِيَّةِ (الَّتي هِيَ وَزْنَةٌ كَبيرَةٌ يَجِبُ أَنْ تُسْتَثْمَرَ وَتُضاعَفَ لِمَجْدِ اللهِ)، أَنْ يَتَذَكَّرَ غايَةَ الْحَياةِ الْحَقيقِيَّةِ وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِرُوحِهِ اسْتِعْدادًا لِلِقاءِ اللهِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ هُوَ الْجِسْرُ الذَّهَبِيُّ الَّذي يَنْقُلُنا إِلَى الْحَياةِ الْأَبَدِيَّةِ بِالْمَسيحِ يَسُوعَ.

إِضافَةً إِلَى ذٰلِكَ، فَإِنَّ الْعَيْشَ بِتَقْوَى، وَالتَّوْبَةَ الدّائِمَةَ، وَالْحِفاظَ عَلَى عَلاقَةٍ حَيَّةٍ مَعَ اللهِ، يَجْعَلُ الإِنْسانَ أَكْثَرَ إِدْراكًا لِحَقيقَةِ الْحَياةِ وَالْمَوْتِ، وَيَعيشُ مُسْتَعِدًّا لِساعَةِ انْتِقالِهِ في أَيِّ وَقْتٍ.

بِما أَنَّ ساعَةَ الْمَوْتِ خَفِيَّةٌ وَغَيْرُ مَعْرُوفَةٍ، وَتَأْتي كَمَا اللِّصِّ بَغْتَةً، فَإِنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ بِمَكانٍ أَنْ نَسْتَيْقِظَ مِنْ غَفْلَتِنا، وَأَنْ نُحَدِّقَ أَعْيُنَنا، وَنَفْتَحَ عَقْلَنا وَقَلْبَنا لِلْمَسيحِ الَّذي ما زالَ يُناشِدُنا لِلرُّجُوعِ إِلَيْهِ. هٰذا هُوَ الْوَقْتُ الْمُناسِبُ لِلاسْتِعْدادِ الدّاخِلِيِّ وَالتَّوْبَةِ الْحَقيقِيَّةِ في فَتْرَةِ الصَّوْمِ الْكَبيرِ. فَالْمَوْتُ لا يَدُقُّ الْأَبْوابَ مُسْبَقًا، وَالْمَسيحُ ما زالَ يَدْعُونا الْيَوْمَ وَبِإِلْحاحٍ لِنَرْجِعَ إِلَيْهِ وَنَجِدَ فيهِ الْخَلاصَ وَالرّاحَةَ وَالسَّعادَةَ الْحَقيقِيَّةَ.

أَيُّهَا الشَّيْخُ: هُنالِكَ آيَةٌ تُشيرُ: «حَيْثُ يَكُونُ كَنزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ»، إِذًا يَجِبُ أَنْ نَخْتارَ الْكَنزَ الْحَقيقِيَّ أَيِ الْمَسيحَ!

الشَّيْخُ: نَعَم، هٰذِهِ الآيَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ (متى٦: ٢١): «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا»، وَهِيَ تَذْكيرٌ لَنا بِأَنَّ ما نُوَلِّيهِ مِنِ اهْتِمامٍ وَأَوْلَوِيَّةٍ في حَياتِنا هُوَ ما سَيُحَدِّدُ اتِّجاهَ قَلْبِنا. لِذٰلِكَ، يَجِبُ أَنْ نَخْتارَ الْكَنزَ الْحَقيقِيَّ، وَهُوَ الْمَسيحُ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمُلْهِمُ وَالْمُرْشِدُ الْوَحيدُ لِحَياتِنا. الْكَنزُ الَّذي لا يَفْنى وَلا يَتَبَدَّلُ، وَالَّذي يُوَصِّلُنا إِلَى الْحَياةِ الْأَبَدِيَّةِ.

أَيُّهَا الشَّيْخُ: الْمَسيحُ هُوَ اللُّؤْلُؤَةُ الْكَثيرَةُ الثَّمَنِ الَّتي بَاعَ الشَّخْصُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ وَاشْتَرَاهَا.

الشَّيْخُ: نَعَم، تَمامًا. هٰذا يُسْتَشْهَدُ بِهِ في مَثَلِ: «اللُّؤْلُؤَةُ الْكَثيرَةُ الثَّمَنِ» في إِنْجيلِ مَتَّى ١٣: ٤٦، حَيْثُ قالَ يَسُوعُ: «الَّذِي لَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا لَهُ وَاشْتَرَاهَا». هٰذِهِ اللُّؤْلُؤَةُ تَرْمُزُ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ إِلَى الْمَسيحِ كَلِمَةِ اللهِ، وَهُوَ الْكَنزُ الْحَقيقِيُّ الَّذي يَجِبُ أَنْ نَسْعَى إِلَيْهِ بِكُلِّ قُلُوبِنا. الْمَسيحُ هُوَ الْأَسْمَى، الَّذي لا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، وَيَتَجاوَزُ كُلَّ الْأَشْياءِ، وَيَسْتَحِقُّ مِنَّا أَنْ نُضَحِّيَ بِكُلِّ شَيْءٍ في سَبيلِ اقْتِنائِهِ.

أَيُّهَا الشَّيْخُ: كيف نجتاز ساعة الموت الرهيبة، من خلال إيماننا القويم؟

الشَّيْخُ: نَجْتازُ ساعَةَ الْمَوْتِ الرَّهيبَةَ مِنْ خِلالِ إِيمانِنَا الْقَويمِ بِالْمَسيحِ وَتَمَسُّكِنا بِوَعْدِهِ بِالْخَلاصِ وَالْحَياةِ الْأَبَدِيَّةِ. إِيمانُنا بِموتِ الْمَسيحِ وَقِيامَتِهِ يُمَكِّنُنا مِنْ مُجابَهَةِ الْمَوْتِ بِسَلامٍ وَرَجاءٍ، فَإِنَّ مَوْتَ الْمَسيحِ عَلَى الصَّليبِ في سَبيلِ خَلاصِنا يُعْطينا فَهْمًا أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ نِهايَةً، بَلْ هُوَ بَدْءُ حَياةٍ أَبَدِيَّةٍ في حُضُورِ اللهِ. لِذٰلِكَ، عَلَيْنا أَنْ نَحْيا في الإِيمانِ وَالتَّوْبَةِ الدّائِمَةِ، وَنَعيشَ حَياةً رُوحِيَّةً فاعِلَةً تَحْتَ إِرادَةِ اللهِ، وَنَكُونَ مُسْتَعِدِّينَ لِلِقاءِ مَعَ رَبِّنا في الْحَياةِ الْأَبَدِيَّةِ.

قِيامَةُ الْمَسيحِ تَمْنَحُ الْمُؤْمِنينَ الْقُوَّةَ في وَسَطِ الاضْطِهاداتِ وَالآلامِ، وَهِيَ تَذْكيرٌ دائِمٌ بِأَنَّ آلامَ هٰذا الْعالَمِ هِيَ مُؤَقَّتَةٌ، وَأَنَّ الْحَياةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتي أَعَدَّها الْمَسيحُ لَنا هِيَ هِبَةٌ مِنْ مَحَبَّتِهِ الْغامِرَةِ. هِيَ دَعْوَةٌ لَنا لِنَتَشارَكَ في مَجْدِهِ، لِأَنَّنا في الْمَسيحِ نَحْيا وَنَمُوتُ، وَفيهِ نَنْتَصِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

إِنَّ قِيامَةَ الْمَسيحِ هِيَ قُوَّتُنا لِمُواجَهَةِ التَّحَدِّياتِ، وَتَجْديدٌ لِإِيمانِنا كُلَّ يَوْمٍ. هِيَ فَرَحُنا وَسَطَ الْحُزْنِ، وَنُورُنا في الظُّلْمَةِ، وَرَجاؤُنا في عالَمٍ مَليءٍ بِالْيَأْسِ. الْمَسيحُ أَحَبَّنا حُبًّا جَمًّا، وَأَحَبَّنا حَتَّى الْمُنْتَهَى.

«اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ» (أم ٩: ١).

بيت الحكمة هو هيكل جسد المسيح

✝ **يقول القديس هيبوليتس (٢٢٢–٢٤٥م):**

[اَلْمَسِيحُ (الذي تنبَّأ عنه **سليمان الحكيم**) هو **حكمة الله وقوّة الله الآب**، بنى بيته، أي طبيعة جسده الذي أَخَذَه من **العذراء (القديسة) مريم**، كما قال **يوحنا** في إنجيله: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو ١: ١٤).

(كما شهد كذلك الحكيم سليمان): **الحكمة** التي كانت قبل إنشاء العالم، والتي هي مصدر الحياة، **وحكمة الله غير المحدودة**، بَنَت بيتها، بواسطة **عذراء** لم تعرف رجلًا، ليشهد أنه قد بنى هيكل الجسد. و«نَحَتَ أَعْمِدَتَهَ السَّبْعَةَ»، أَيِّ عَبِيرِ نِعْمَتِهِ الَّتِي **لِرُوحِهِ الْقُدُوسِ**، كما يقول **إشعياء النبي**: «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ (سبعة أرواح الله) رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ» (إش ١١: ٢). (إلاَّ أنَّ آخرين يقولون إنَّ السبعة أعمدة، هي السبعة الدرجات الإلهية التي تسند الخليقة بتعاليمه المقدَّسة، ويعني بها: الأنبياء، والرسل، والآباء، والشهداء، والمتوحِّدون، والقدِّيسون، والأبرار)][1].

✝ **والقديس أثناسيوس الكبير:**

يؤكِّد هذا المعنى، قائلًا:[رغم أنَّ الكلمة صار بالحقيقة جسدًا، فإنَّهُ للجسد – في الواقع – قد ظهرت العواطف الجسديَّة. ورغم أنَّ الجسد أَخَذ **أُلوهيَّة الكلمة**، إلاَّ أنَّهُ **للكلمة** نُسِبَت النعمة والقوَّة. فهو الذي قام بكلِّ **أعمال الآب**؛ كما أنَّهُ من خلال الجسد، ومن خلاله فقط، ظهرت عواطف الجسد فيه. ومع ذلك، فإنَّهُ سأل: عن مكان **قبر أَلعازر**، ثمَّ **أقام أَلعازر**. كما أنَّهُ راجَع أُمه قائلًا لها: «لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ» (يو ٢: ٤)، وبعد ذلك مباشرةً حوَّل الماء خمرًا. فبكلِّ تأكيد كان **هو الله بالحقيقة** في الجسد، وكان وهو في الجسد **بالحقيقة هو الله الكلمة**. ومن أعماله كذلك، جعل أباه معروفًا، وشخصه معروفًا أيضًا بصفته **ابن الله**. وبواسطة عواطف الجسد أعلن أنَّهُ يحمل جسدًا حقيقيًّا خاصًا ومُتَّحدًا به] [2].

«اَلْمَسِيحُ **الْمُذَّخَرُ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ**.» (**كول ٢: ٣**):

فالمسيح هو كلمة الله وحكمته، لذلك قيل عنه: «الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ.». كما جاء عنه أيضًا في الرسالة إلى كولوسي: «الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا. الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّماً فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ» (كولوسي ١: ١٣–١٩).

كما يُكمِل أيضًا قائلًا في نفس الرسالة، الأصحاح الثاني: «لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ، الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ» (كولوسي ٢: ٢– ٣). ويُكمِل في الرسالة الأولى إلى كورنثوس، قائلًا: «وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً» (١ كو ١: ٣٠).

✝ **يقول القديس كيرلُّس الكبير:**

[أَنْ يُقال: «وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئاً حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ» (لو ٢: ٤٠)، هذا الكلام ينبغي أنْ يؤخذ على أنَّهُ يُشير إلى طبيعته البشريَّة. وأرجو أنْ تفحصوا باهتمامٍ في عُمْق التدبير: **فالكلمة** يحتمل ويقبل أن يُولد في صورة بشريَّة، رغم أنَّهُ في **طبيعته الإلهيَّة** ليس له بداية، وليس خاضعًا للزمن. والذي هو **إلهٌ كامل تمامًا من كلِّ ناحية**، يخضع للنموِّ الجسدي. وغير الجسدي صارت له أطرافٌ تنمو مع نموِّ بشريَّته. وَالَّذِي هُوَ نَفْسُهُ **الْحِكْمَةُ كُلُّهَا** يَمْتَلِئُ بِالْحِكْمَةِ. وماذا نقول عن هذا؟ فإنَّ الذي كان في **صورة الآب**، قد صار مثلنا، والغَني أَخَذَ صورة الفقر، والعالي أَخَذَ صورة الاتِّضاع، والذي له الملء يُقال عنه إنه ينال ويأخذ. وهكذا فإنَّ **الله الكلمة** أخلى نفسه!

لأنَّ الأشياء التي كُتِبَت عنه كإنسانٍ تُظهِر طريقة إخلائه، لأنَّه كان أمرًا مُستحيلًا **للكلمة المولود من الله** أنْ يسمحَ بمثل هذه الأشياء أنْ تكون في طبيعته الخاصة؛ ولكن حينما صار جسدًا، أي صار إنسانًا مثلنا، فإنَّهُ حينئذ وُلِدَ حسب الجسد من امرأة. وقيل عنه إنَّهُ كان

خاضعًا للأمور التي تختصُّ بحالة الإنسان، ورغم أنَّ **الكلمة** لكونه إلهًا كان يستطيع أن يجعل جسده يخرج من البطن في قامة رجل ناضج مرَّةً واحدة؛ إلَّا أنَّ هذا لو حدث لكان أمرًا غريبًا جدًّا وإعجازيًّا، ولذلك فإنَّه جعل جسده يخضع لعادة وقوانين الطبيعة البشريَّة.

إذن، فالجسد يتقدَّم في القامة، والنفس تتقدَّم في الحكمة؛ لأن **الطبيعة الإلهيَّة** غير قابلة للازدياد لا في القامة ولا في الحكمة، إذ أنَّ **كلمة الله كاملٌ تمامًا**. ولذلك فإنَّهُ لسببٍ مُناسب ربط بين التقدُّم في الحكمة ونمو القامة الجسديَّة، بسبب أنَّ **الطبيعة الإلهيَّة** أعلنت حكمتها الخاصة بما يتناسب مع قامة النموِّ الجسدي].

شركاء الطبيعة الإلهية:

حينما حان وقت تسليم **المسيح نفسه** بيد أعدائه وصالبيه، أراد **المسيح** أن يُشدِّد تلاميذه لمواجهة هذه التجربة القاسية التي سوف تُطيح بأكبرهم (**بطرس**) حَتَّى أَنَّهُ سَوْفَ يُنْكِرُ الرَّبَّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ! فكيف يستطيع أي واحد منهم أن يصمُد أمام مثل هذا الهجوم!؟ لِذَلِكَ بَدَأَ **الرَّبُّ** حَدِيثَهُ مَعَ التَّلاَمِذَةِ بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا **بِتَحْذِيرِ الرَّبِّ لِبُطْرُسَ** عَلَى إِنْكَارِهِ لَهُ، قَائِلًا لَهُمْ.: «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً، وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ» (يو ١٤: ١-٤)!

وقد ظهر مدى اضطراب التلاميذ حينما سأله توما قائلًا: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» (يو ١٤: ٥-٧).

وَلَكِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فُوجِئَ بِسُؤَالٍ فِيلِبُّسَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا»؟ **فَأَجَابَهُ الرَّبُّ يَسُوعُ قَائِلًا:** «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ» (يو ١٤: ٨-١٤).

✝ **وفي هذا الصدد، يقول القديس كيرلُّس الكبير:**

[«إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ»، حِينَما يَكُونُ الوَقْتُ قَدِ اكْتَمَلَ، الَّذِي فِيهِ كَانَ يَجِبُ أَنْ أُظْهِرَ نَفْسِي فِي ثَوْبِ الإِخْلاَءِ وَالاِتِّضَاعِ. لَقَدْ كَمَلَ مَا هُوَ لاَزِمٌ لِتَتْمِيمِ خُطَّةِ التَّجَسُّدِ. وَالآنَ فَإِنِّي أُعِدُّكُمْ أَنَّنِي سَأَعْمَلُ أَعْمَالَ اللهِ كَإِلهٍ بِدُونِ أَنْ يَحْتَجِبَ مَجْدُ أُلُوهِيَّتِي، وَدُونَ أَنْ يَكُونَ الآبُ بَعِيدًا عَنْ المَجْدِ اللاَّئِقِ بِالأُلُوهِيَّةِ؛ بَلْ لِكَيْ «يَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ»].

بالرُّوح القُدُس صرنا شركاء الطبيعة الإلهيَّة:

يَقُولُ اَلرَّبُّ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ... بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يو١٤: ١٥-٢٥، ١٧-٢٦).

✝ **وفي هذا الصدد، يقول القديس غريغوريوس النزينزي:**

[إِنَّ **الرُّوحَ القُدُسَ** لَمْ يَحُلَّ هُنَا كَمُجَرَّدِ قُوَّةٍ كَمَا كَانَ فِيمَا سَبَقَ، وَإِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ بِجَوْهَرِهِ صَارَ يُشَارِكُنَا وَيُعَايِشُنَا. فَقَدْ كَانَ لاَئِقًا بَعْدَ أَنْ عَاشَ الابْنُ فِي وَسَطِنَا جَسَدِيًّا، أَنْ يَظْهَرَ لَنَا الرُّوحُ أَيْضًا فِي هَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ... وَقَدْ جَاءَ فِي هَيْئَةِ أَلْسِنَةٍ بِسَبَبِ اتِّصَالِهِ **بِالْكَلِمَةِ**، وَهَذِهِ الأَلْسِنَةُ كَانَتْ نَارِيَّةً بِسَبَبِ قُدْرَتِهِ عَلَى التَّطْهِيرِ... أَوْ بِسَبَبِ جَوْهَرِهِ النَّارِيِّ، لِأَنَّ : «إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ» (عب ١٢: ٢٩)، تَأْكُلُ التَّوَانِي...

ملحوظة: عبارة «تَأْكُلُ التَّوَانِي» في هذا السياق تشير إلى أنَّ النَّار الإلهيَّة، التي تمثِّل قدرة الله النقيَّة والمطهرة، تلتهم أو تقضي على التواني، أي التأجيل أو التراخي في السعي الروحي. في هذه الصورة، النَّار النارية تعبر عن قوى الله غير المخلوقة، التي تزيل أي تأخير أو إبطاء في الاستجابة لإرادته، أو أي نقص في الجهد نحو التطهير والتقديس. هذه النَّار، بما أنَّها ناريَّة، لها القدرة على تطهير كل ما هو غير نقي، بما في ذلك التواني أو التقاعس الروحي.

وَالأَلْسِنَةُ كَانَتْ «مُنْقَسِمَةٌ» بِسَبَبِ تَنَوُّعِ الْمَوَاهِبِ، وَكَانَتْ «مُسْتَقِرَّةً عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ» (أع ٢: ٣)، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الرُّوحَ يَمْلُكُ وَيَسْتَرِيحُ فِي قِدِّيسِيهِ (إش ٥٧: ١٥ سبعينية)؛ وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ فِي «الْعِلِّيَّةِ» (أع ١: ١٣)، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْتَفِعُوا وَيَتَسَامَوْا عَنِ الأَرْضِيَّاتِ. وَهَكَذَا (**الرَّبُّ**) **يَسُوعُ** أَيْضًا فِي عَلِّيَّةٍ قَدْ مَنَحَ شَرِكَةَ أَسْرَارِهِ لِلَّذِينَ تَكَمَّلُوا بِالْخَيْرَاتِ الْفَائِقَةِ.][3].

✝ **كما يقول أيضًا: القديس أثناسيوس الكبير:**

[بسبب **الرُّوح القُدُس** يُقال عنَّا جميعًا إنَّنا **شركاء الله**: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ، لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ» (١كو٣: ١٦،١٧).

فلو كان **الرُّوح القُدُس** مخلوقًا لَما كانت لنا به أيَّة شركة **مع الله**. ولو كُنَّا اتَّحدنا بمخلوق لبقينا غرباء عن **طبيعة الله** بدون شركة معه. وأمَّا الآن، ونحن نُدْعَى «شُرَكَاءُ الْمَسِيحِ» (عب٣: ١٤)، **وشركاء الله**، فمن الواضح أنَّ السِّمَة والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات؛ بل من **طبيعة الابن**، الذي **بالرُّوح القُدُس** الذي فيه يربطنا **بالآب**. وهذا ما أعلمنا به **القديس يوحنا** لمَّا كَتَب: «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ» (١يو٤: ١٣)][4].

(1) St. Hippolytus, Fragments on Proverbs (ANF 175 :5, TLC).
(2) St. Athanasius of Alexandria, Against the Arians 3.41 (FEF 332 :1).
(3) Oration 12-41,11, On Pentecost (NPNF 2nd Ser. Vol. VII, p. 383).
(4) Letter 1 to Serapion (PG 588-585 ,26).

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم – تتمة

يأتي ولا يصمت:

مكتوبٌ أنَّه سينزل على الأرضِ، ويطلب حسابًا من جنس البشَر، وليس فقط من الآخرين، بل ومن اليهود. وانتبه كيف أنَّ هذا أيضًا قد تنبَّأَ بِهِ، كُلٌ من **داود وملاخي**. أولًا يقول **النبيّ**: «ويجلس كمن يمحِّص الفضَّة والذهب ويُنقيهما» (ملاخي٣:٣ سبعينيَّة). وهذه الكلمات تشبه ما قاله **الرسول بولس**: «لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ» (١كور٣:١٣). **وداود النبيّ** أيضًا سبَقَ فأخبَرَ بالمجيء الثاني **للرَّبّ**، قائلًا: «الله يأتي جَهارًا وإلهنا ولا يصمُت» (مز٤٩:٣). لأنَّ المجيء الأوَّل كان للصفح والغفران، لكن المجيء الثاني لن يكون هكذا، بل سيكون مملوءٌ رَعْدَةً، وخوفًا، بسبب حضور الملائكةِ الذينَ يسبقونَ مَجيئَهُ، وبسببِ حُضُورِهِ، الذي سيُغَطِّي كلَّ شيءٍ مثلَ البرقِ. «كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ.» (مت ٢٤:٢٧). إنَّهُ يظهر بهذا. ما هو واضحٌ كلّ الوضوح، فقط هو يُعلن عنه، لأنَّه مجيئه الثاني، ليس بحاجة لأن يُعلنوا عنه. فهو يُعلن عن ذاته. وهذا ما أوضحه **داود النبيّ** بقوله: «الله يأتي جَهارًا وإلهنا ولا يصمُت» (مز٤٩:٣). وبعد ذلك يصف قضاء الدهر الآتي، قائلًا: «النار قدَّامَهُ تَتَّقِدُ، وَحولَهُ عاصِفٌ جدًّا» (مز٤٩:٣). يذكر العقوبات، لكنه يذكر البهاء والمجد أيضًا: «يَدعو السماءَ من فوق، والأرض إلى مُحاكَمَةِ شَعْبِهِ» (مز٤٩:٤). وعندما يتحدَّث هنا على الأرض، يقصد جنس البشر. بعد ذلك يشمل اليهود مع كُلِّ الأجناس الأُخرى، لأنَّه بالتأكيد يُكَلِّم هؤلاء، فيضيف: «إجمعوا إليهِ ابرارَه، الواضعينَ عهدَهُ على الذبائح، وتُخبر السماوات بعدله. لأنَّ الله هو الدَيَّان» (مز٤٩:٥). سيأتي **ويُنَحِّي** تلك العبادة جانبًا، حيث كانوا يقدِّمون الذبائح، وسيستبعدُها، لكي تُصبح عبادتنا الآن مقبولة. إسمع كيف تنبَّأوا بذلك: «ذبيحةً وقُربانًا لم تشأ. بل جسدًا هيّأتَ لي» (مزمور ٣٩:٦ سبعينيّة). الأمر الذي قاله في موضعٍ آخر: «الشعب الذي لا أعرفه يتعبَّد لي، وبسمع الآذان يسمعون لي» (مزمور ١٧:٤٣-٤٤). بهذه الكلمات أرادَ أنْ يقول: إنَّهم لم يُؤمنُوا، لأنَّهم رأوا البحر وهو ينشَقُّ إلى شقَّينِ، ولا الصخور وهي تنسابُ منها الماء. بل آمنوا بعدما سمعوا رُسل **المسيح**. وهنا أيضًا عندما يقول: «هيَّأت لي جسدًا» يُضيف قائلًا: «قلتُ ها أنا قادم. في رأس المصحف مكتوبٌ من أجلي» (مزمور ٣٩:٨ سبعينيّة). هنا هو يريد أنْ يقولَ أمرين:

١) أنَّه آتٍ. ٢) وأنَّ هذا سيتحقَّق، عندما تُبطَل الذبائح.

الأمر الذي حدث عندما خَضَعَ اليهود للرومان. ليس هذا فقط، بل إنَّ **باروخ** تكلَّم عن التجسُّد الإلهي، قائلًا: «وَبَعْدَ ذلِكَ تَرَاءَى عَلَى الأَرْضِ وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الْبَشَرِ.» (باروخ ٣:٣٨). أيضًا قال **موسى النبيّ**: «أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي يُسْتَأْصَل من هذا الشَّعْبْ.» (تثنية ١٨:١٨-١٩). أرأيت أنَّ هذا لم يحدث لأيِّ أحد، **إلَّا للمسيح وحده فقط؟** فمن المعروفِ أنَّ كثيرًا من **الأنبياء** قد جاءوا، ولم يسمع الشعب لواحد منهم، ومع ذلك لم يُعانوا من أيِّ شيءٍ. إلَّا أنَّه في الوقت الذي رفَضَه فيه اليهود، تشتَّتوا في كُلِّ العالم، **متشرِّدين مخدوعين، منفيِّين، ولاجئين**. لاحظ إذًا أنَّهم بدَّلوا أوطانهم، وعاداتهم وتقاليدهم الموروثة، وقوانينهم، **بالفسق، والخزي، والإدانة، والعقوبة؛ وكلّ: ما اجتازوه من آلام في عصر ڤاسباسيانوس وتيتوس، لا يمكننا الحديث عنه(*)**، لأنَّ المأساة كانت آنذاك قد تجاوزت الكوارث كافةً، وهكذا تحقَّقت النبوَّة القائلة: «الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي يُسْتَأْصَل من هذا الشَّعْبْ.» . لذلك هَلَكَ أولئك الذين لم يسمعوا، لأنَّهم رفَضُوا أن يسمعوا لذلك **النبيّ**. ومن حيثُ أنَّه سيُقيمهم، فهذا ما أُخبِرَ به من قِبَلِ

أشعياء النبيّ القائل: «تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ... لأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ.» (إشعياء ٢٦:١٩).

(*) (أباطرة الرومان، وقد شَنَّ كلاهما حروبًا مدمِّرة ضدّ اليهود. تيتوس هو ابن الإمبراطور ڤاسباسينوس، وقد وُلِدَ سنة ٤٠ بعد الميلاد، ومات سنة ٨١ بعد الميلاد.)

ويكون موته مجدًا:

ليس هذا فقط، بل بعد صلبه وموته، انتشر تعليمه في كُلِّ مكان. فبعدما أوثقوه، **وخَانَهُ تلميذه (يهوذا)**، وبَصَقوا عليه، واستهزئُوا بهِ، وجلدُوه، في النهاية صَلبوه، حتَّى ثيابه قسَّمها الجنود فيما بينهم؛ وحَكموا عليه بأنَّه مستوجب الموت، ظنًّا منهم أنَّه يُريد أنْ يقيمَ مملكة مُستبدَّة، كطاغيةٍ ومُستَبِدّ. «كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!» (يوحنا ١٩:١٢)، وأيضًا: «قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ!» (مت ٢٦:٦٥). ولأنَّه كان يجب أنْ يحدثَ كُلّ هذا، شَجَّعَ السامع، وأعانه أنْ يتشدَّدَ ويتقوَّى، – هكذا يقول – لا تَخف بسبب كُلِّ ذلك، فإنَّ ذاكَ الذي جُلِدَ، وَصُلِبَ، وَسَخِرَ منْه اللصان اللذان صُلبا معه، الذي حكموا عليه بموت مُخزي، قد تحوَّلت الأمور بعد موته، وقيامته، تحوُّلًا جذريًّا، حتى أنَّه، لا يستطيع أحدٌ أن يُنكر أنَّه قد نال كرامة عظيمة، وهذا ما حدث بالفعل. هذا تحديدًا ما تنبَّأَ به **النبي** آنذاك، قائلًا: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ (**موته**) مَجْدًا.» (إشعياء ١١:١٠). هذا النوع من الموت، هو أكثر قيمة وكرامة من التاج الملوكي. لأنَّ الملوك وهم يخلعون التاج، يأخذون الصليب، الذي هو رمز وإشارة لموتِ **المسيح**؛ والصليب مطبوعٌ على الثوب الأرجواني، وعلى التَّاج، الصليب قائمٌ في الصلوات، وفوق المائدة المقدَّسة، وفي كُلِّ المسكونة يُشرق الصليب أكثر من إشراق نور الشمس، «وَيَكُونُ (**موته**) مَجْدًا.».

اللعنة صارت كرامة:

إنَّ الأمور الإنسانيَّة ليست على هذا النحو، بل عادَةً ما تكون العكس. فعندما يكون الناجحون على قيد الحياة، يَكُونُ كُلُّ شيء حولهم في حالة ازدهار، لكن عندما يموتوا، يَتَحَطَّمُ كُلُّ شيء. وهذا لا ينطبق على الغني، والقائد فقط، بل يمكن للمرءِ أنْ يلاحظه على الملوكِ أنفسهم. لأنَّ قوانينهم تَبطُل، وصُورهم تُنزَع، وذكراهم تُمحَى، وأسمائهم تُنسَى، وخاصتهم تُحتقر. الذين رفعوا الأسلحة قبلًا كانوا قادرين بإشارةٍ واحدةٍ فقط، على تغيير شعوب، ومدن، وسياسات، الذين قضوا على رؤساء، كانوا قادرين على أنْ يَنقذِوا المحكوم عليهم بالموت. وَلَكِنَّ كُلَّ هذا قد انتهى إلى زوال، وإن كان قبلًا، يُسَبِّب بهجة وسعادة للبعض. ولكن مع **المسيح**، صارت الأمور عكس ذلك تمامًا، بمعنى أنَّه قبل الصَّلب كَانَ كُلُّ شيء مُحزنًا ومؤلمًا، يهوذا خانَهُ، بُطرس أنكَرَهُ، ولاحقوا الباقين، كان وحده بين الأعداء، وكثيرون من الذين آمنوا، أنكروه. إلَّا أنَّه بعدما مات، كلُّ الأمور تحوَّلت إلى بهاءٍ ومجد، ومسرَّة، وصارت لها أهميَّة عظيمة، لكي تعلم أنَّ المصلوب لم يَكُن إنسانًا عاديًّا. ومن كان الأوَّل بين الرُسُل (القديس بطرس)، لم يحتمل تهديد الذين كانوا في دار رئيس الكهنة، بل وبعد هذا الإستجواب، قالَ: إنِّي لا أعرفُهُ. أمَّا بعد الصَّلب فقد جابَ أرجاء المسكونة، ومن ذلك الوقت استُشهِدَ عددٌ لا حصر له من الشهداء، مُفَضِّلين الموت، على أنْ ينطقوا الكلمات التي قالها هامة الرُسل (القديس بطرس)، الَّذِي خَافَ مِنْ تَهْدِيدِ الْبَوَّابَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقِفُ عِنْدَ بَابِ دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. ومن ذلك الوقت، إعترفَ بالمصلوب كلّ البلدان والمدن، والصحراء والمناطق الآهلة بالسكان، وغير الآهلة. الجميع قد اعترف بالمصلوب؛ بل وملوك، وقادة جيوش، ورؤساء ونُبلاء وولاةٌ(١)، وعبيدٌ، وأحرار، ومواطنون بُسطاء، وحُكماء، وبربر، وأُمم مختلفة من الْبَشَرِ، الْكُلُّ قَدِ اعْتَرَفَ بِالْمَصْلُوبِ، وآمنوا به. وَبِقَدْرِ مَا تُغَطِّي الشَّمْسُ كُلَّ الأَرْضِ، بقدر ما امتَدَّ اسمه، وعبادته في كُلِّ الأرض، حتى تعلم ماذا يعني **النبيّ** بقوله: «وَيَكُونُ (**موته**) مَجْدًا.». والأمر المثير للإعجاب، أنَّ ما حدث لم يحدث له وحده، بل لتلاميذه أيضًا، لأنَّ أولئك المتعبين، المتألِّمين، المحتَقَرين، المسجونين، الذين عانوا من شرور لا حصرَ لها. من ذلك الوقت الذي انتقلوا فيه، إعتُبِروا أكثر كرامة ومكانة، من الملوكِ. وكيف حدث ذلك؟ إسمع الآن ما هو آتٍ: كان الجميع في مدينة روما المشرقة البهيَّة، سواء ملوك، أم ولاة، أم قادة جيوش، يركضون نحو قبر صيَّاد السمك (**القديس بطرس**)، وصانع الخيام (**القديس بولس**) غير مُبالين بأيِّ أُمور أُخرى. وفي القسطنطينيَّة أيضًا إعتبر الملوك بأنَّ دفن أجسادهم، حتَّى في الجزء الخارجي لمقابر الرُسل، وليس إلى جوارهم، هو تكريمًا لهم، ومن ذلك الوقت صار الملوك بمثابة بوابين للرُسل صَيَّادي السمك، ولم يخجلوا من هذا، بل افتخروا بهذا الأمر. وليس فقط هؤلاء الملوك، بل وخُلفائهم أيضًا، «وَيَكُونُ (**موته**) مَجْدًا.». وعندئذٍ ستُدرك كم هي عظيمة هذه الكرامة، عندما تفهم ما يُشير إليه موت **المسيح**، **الذي كان لعنة**، كمثال أذكُر لكم الآتي: كان بعض الأشرار في العصور القديمة يُحرِّقُون، والبعض يُرجَمون، والبعض الآخر أنهوا حياتهم بطُرق أُخرى للموتِ، لكن كُل مَنْ صُلِبَ مُعَلَّقًا على خشبة، ليس فقط قد احتمل هذا الأمر المفزع، أي الحُكم بتلك العقوبة، بل كان ملعونًا. لأنَّه مكتوبٌ: « الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ» (تث ٢١:٢٣). بيد أنَّ هذا الذي دُعِيَ مَلعونًا، تلك اللعنة التي تعتبر أسوأ عقوبة، الآن قد صارَ **محبوبًا**. لأنَّه بالتأكيد، حتَّى التاج الملوكي لا يمكن أن يُزيِّن الرأس، مثل الصليب، والذي هو أكثر قيمة وتتويجًا من أيَّةِ زينةٍ أُخرى. وشكل الصليب الذي كان يمثِّل رُعبًا للجميع، أصبحَ الآن يَلْقَى كُلّ احترام وحبّ من الجميع، حتى أنَّه يوجد في كُلِّ مكان، لدى عَذارى ومتزوِّجين، لدى عبيد وأحرار؛ ويرسمه كثيرون على الأعضاء الأساسيَّة للجسد، فيرسمونه على جباههم، وعلى أيديهم. إنَّ الصليب الذي يُشرق ببهاء فوق المائدة المقدَّسة، يُرافق أيضًا رِسامات الكهنة، وهو أيضًا مع **جسد المسيح** في العشاء السِّرّيّ. ويستطيع المرء أنْ يرى الصليب وهو يطوف في كُلِّ مكان، في البيوت، وفي الأسواق، وفي البراري، وفي الطُرق، وفي الجبال، وفي المنخفضات، وفي المرتفعات، في البحر، وفي السُفن، وفي الجُزر، وفي المخادع، وعلى الأسلحة، وعلى الموائد، على الأواني الفضيَّة والذهبيَّة، وعلى الحوائط المزخرفة بالرُسومات، وعلى أجساد الذين يتألَّمون نفسيًّا، وعلى أجساد المعذَّبين بأرواحٍ شريرة، وموجودٌ في

الحرب، وفي السِلم، في النهار والليل، في أعمال وتصرفات المُسرفين، وفي سلوكِ المتقشِّفين. هذه العطيَّة العجيبة، والهبة التي لا تُوصَف، صارت موضع رغبة شديدة للغاية. ألَا يخجل الإنسان عندما يُفكِّر بأنَّ هذا الموت، هو رمزٌ للموتِ المهين، بينما ما نراه هو العكس، فالجميع يتزيَّنون بالصليب، أكثر من التيجان، ومن ملابس مُزيَّنة بقِطَع كثيرة من الماس. هكذا فإنَّه ليس فقط لا نستطيع أنْ نتجنَّبه، بل إنَّه صارَ محبوبًا، ومرغوبًا فيه، ومُشرقًا ببهاء في كُلِّ مكان، وهو موجودٌ على حوائط البيوت، وأُسقُفها، وفي الكُتب، وفي المدن، وفي القُرى، وفي الأماكن الآهلة بالسكان، وغير الآهلة.

وبكلِّ سرور أسأل **كلّ وثني**، لماذا يُصبح رمز هذه العقوبة، المُرتَّب بهذا الموت المهين، **محبوبًا ومرغوبًا فيه من الجمع**، إن لَمْ تَكُنْ **قُوَّةُ ٱلْمَصْلُوبِ عَظِيمَةً؟!**. وإنْ كنتَ تعتقد أنَّ هذا الأمر لا يحمل أيَّ قيمة، دون أنْ تخجَلَ، ولا ترى الحقيقة، وتصير أعمى أمام الحقائق الواضحة كالنُّور، فعندئذٍ نُثْبِتُ لَكَ، مدى قيمة الصليب بطريقةٍ أُخرى، كم هي عظيمة هذه القيمة. ما هي هذه الطريقة؟ في الأحكامِ الصَّادرةِ ضدَّ جُناةٍ، والَّتي يَلجَأُونَ فيها إلى وَسائِلِ تَعذِيبٍ كَثِيرَةٍ: **جَلْدٍ، تَقْلِيعِ أَظَافِرٍ، صَبِّ رَصَاصٍ، نَزْعِ جِلْدٍ، تَكْسِيرِ عِظَامٍ.**

إذًا مَنْ مِنْ هؤلاء المعذَّبين سيرغب في أنْ يحضَر أو يُنقَل إلى بيته شيئًا من أدواتِ التعذيب هذه؟ ومَنْ سيقبَل أن يلمِسَ بيده الجلادين الذين استخدموا هذه الأدوات، أو أنْ يذهب إلى مكان قريب لرؤية موضع التعذيب؟ ألَا ينصرف عنهم أكثر الناس، والبعض يعتبر إنَّ هذه الأدوات، لا تستحقُّ ولا حتَّى اللمس، ولا يحتملون مُجرَّد رؤيتها؟ ألَا يرحلون بعيدًا عنها؟ ألَا يُبعِدون عيونهم عنها؟ شيءٌ مثل هذا، كان الصليب في عصورٍ قديمة، بل ولاقَى رفضًا وامتعاضًا كبيرًا، لأنَّه كما قلتُ قبلًا: لم يَكُن فقط رمزًا للموت، بل **رمزٌ لموتٍ مُهين**. أخبرني إذًا، لماذا الآن قد صارَ مرغوبًا فيه من الجميع بشكلٍ فائق، والجميع يسعى نحوه؟ هذه الخشبة (خشبة الصليب) التي رُفِعَت لاستقبال جسد **المسيح** الذي صُلِبَ عليها، لماذا صارت محبوبَةً من الجميع؟ وكثيرون قد أخذوا منه، قطعة صغيرة، وربطوه بذهب، وعلَّقوه في رقابهم (أعناقهم) ليتزيَّنوا به، سواء رجال، أم نساء، على الرغم من أنَّ الخشبة كانت رمزًا للإدانَةِ والعقوبة. لكن هذا الذي خَلَقَ كُلّ شيء، والذي خلَّصَ المسكونة من كُلِّ الشرور، قد صيَّرَ الأرض سماءً، وهذا الصليب بينما كان مُحتَقَرًا وأسوأ كُلّ أنواع الميتات، قد سَمى به، أعلى من السموات. كُلّ هذا قد سبَقَ وأخبرَ به **النبيّ**، قائلًا: «وَيَكُونُ (موته) مَجْدًا.».

لن أتوَقَّف عن الكلام، بالنسبة لرمزِ هذا الموت (الصليب)، لقد صارَ أساسًا عظيمًا للبركة، وسور أمان من كُلِّ خطر، ولِجامًا للشياطين، وتحجيم لقوَّةِ الأعداء. الصليب أبطلَ الموت، وسحَقَ أبواب الجحيم النحاسيَّة، وكَسَّرَ المصاريع الحديديَّة. وأبطَلَ قوَّة الخطيئة، وخلَّصَ المحكوم عليهم بموت الخطيَّة. ماذا أقول؟ ما لم يستطع البحر الذي انشَقَّ إلى قسمين أن يُحَقِّقه، والصخور التي نبع منها ماء، والطبيعة التي تغيَّرت، والمَنّ الذي كان يُطعِم آلاف من البَشَر على مدى أربعين سنة كاملة، والناموس الموسَوي، وكُلّ المعجزات التي حدثت في الصحراء، وفي فلسطين، هذا كلُّه قد حقَّقه الصليب، وليس فقط في أُمَّةٍ واحدة، بل في أرجاء المسكونة. إنَّ الصليب الذي كان رمزًا للَّعنة، والذي كان يَنتَعِد عنه الجميع، المكروه من الكُلّ، موضع الخزي والعارّ، استطاعَ بعد موتِ المصلوب،أنْ يُحَقِّقَ كُلَّ شَيْءٍ بِسُهُولَةٍ. ليس فقط تلك المعجزات التي حدثت آنذاك، بَلْ كُلُّ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَٰلِكَ، قد أظهَرَ مدى قُوَّتِهِ. لأنَّ العالم الذي كان محرومًا من الفضيلة، والذي كان أسوأ من الأرضِ الجدباء، والذي لم يُنتظر منه أبدًا أنْ يُنجِب شيئًا حسَنًا، قد تحلَّى بالصليبِ وانتقل إلى فردوس لا نهاية له، وإلى أُمٍّ كثيرة الأبناء. هذا قد سَبَقَ وأخبر به **النبيّ**، قائلًا: «تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ» (أشعياء ٥٤:١). ومن حيثُ أنَّ **اللهَ** قد أحسَنَ إلى شعبٍ وأعطاهم عهدًا جديدًا أفضل بكثير من العهد السابق، فهذا أيضًا قد أشار إليه الأنبياء، ولم يصمتوا عنه، يقول **النبيّ**: «وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ... عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ» (إرمياء ٣١:٣١-٣٣). بعد ذلك يُعلن عن التغيير الكبير، والتعليم السهل، فيقول: «وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ:اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ» (إرمياء ٣١:٣٤). بل إنَّ **النبيّ** قد تنبَّأَ بأنَّه سيصفح عن آثامهم، قائلًا: «لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ.» (إرمياء ٣١:٣٤). وهل هناك ما هو أكثر وضوحًا من ذلك؟ فدعوة الشعوب، وسموّ العهد الجديد، مُقارنَةً بالقديم، وسهولة وقبول جموعٌ من البشَر للإيمان، ومجد النعمة الإلهيَّة الذي نلناه بالمعموديَّة، كُلُّ هذا قد أوضحته النُبوَّات.

(١) (الرؤساء والولاة، هم أعلى الرتب في روما القديمة في الحقبة الديمقراطيَّة، من عام ٢٩-٥٠٩ قبل الميلاد، ومدَّة حكمهم كانت سنة واحدة، وكانوا يقتسمو السلطة فيما بينهم).

يتبع في العدد القادم

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، فِي هَذَا الصَّوْمِ المُبَارَكِ، دَعُونَا نَتَذَكَّرُ أَنْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ هَدَفًا وَاحِدًا يَجِبُ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ، أَلَا وَهُوَ خَلَاصُ نَفْسِهِ. التَّوْبَةُ الحَقِيقِيَّةُ تَبْدَأُ بِقَرَارٍ دَاخِلِيٍّ ثَابِتٍ، بِأَنْ نَخْتَارَ طَرِيقَ اللهِ وَأَنْ نَعِيشَ مِنْ أَجْلِ المَلَكُوتِ. هَذَا الهَدَفُ يَتَطَلَّبُ مِنَّا جِهَادًا مُسْتَمِرًّا فِي الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالابْتِعَادِ عَنْ الخَطِيئَةِ. كَمَا قَالَ بُولُسُ الرَّسُولُ: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا.» (٢تي٤:٧-٨). فَلْنَعْمَلْ جَاهِدِينَ عَلَى أَنْ نَكُونَ أُمَنَاءَ فِي مَسِيرَتِنَا الرُّوحِيَّةِ، مُوقِنِينَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ مَصْدَرُ قُوَّتِنَا وَنَجَاحِنَا فِي هَذَا الطَّرِيقِ. «لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥:٥).

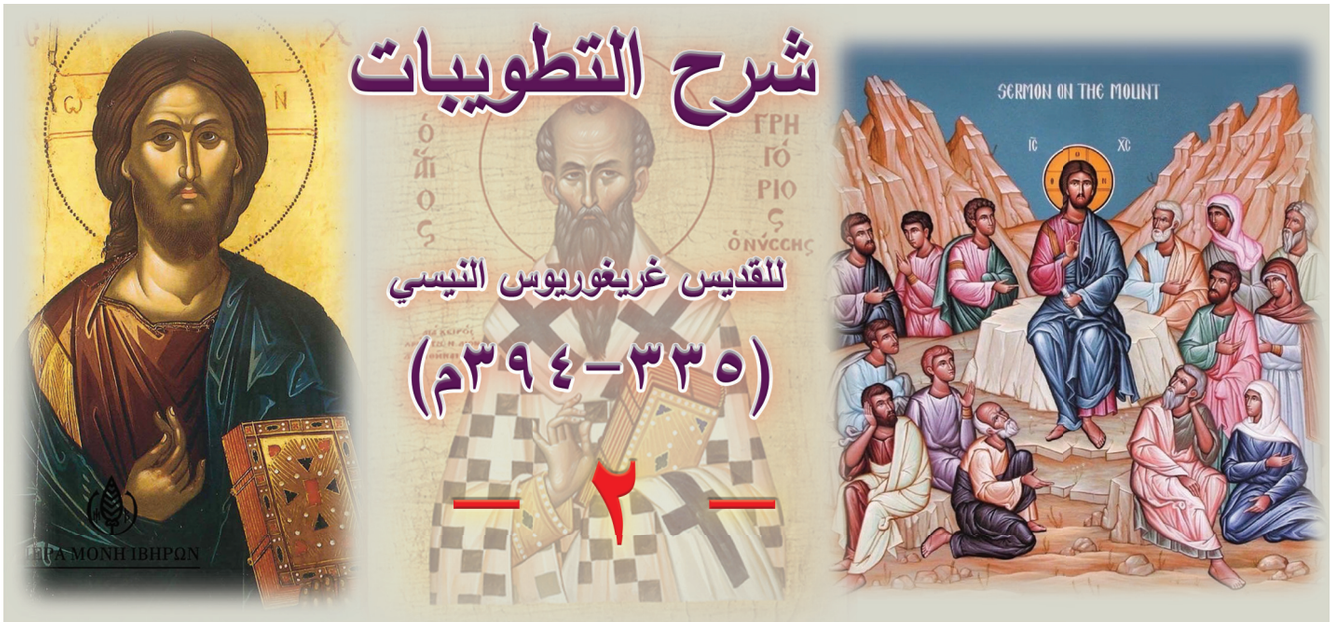

† «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ.» (مت ٥: ٥) (١):

عندما يبدأُ الإنسانُ بتسلُّقِ سُلَّمٍ، فإنَّه يضعُ قَدَمَهُ أوَّلًا على الدَّرجةِ الأولى، ثمَّ ينتقلُ إلى الدَّرجةِ التي تليها، وهكذا إلى أنْ يصلَ إلى قمَّةِ السُّلَّمِ. ولماذا أُشيرُ إلى هذا الأمرِ؟ لأنَّه يبدو لي أنَّ التَّطويباتِ قد نُسِّقَتْ بنظامٍ يُشبهُ سلسلةَ درجاتٍ تُيَسِّرُ الانتقالَ من واحدةٍ إلى أُخرى. فعندما يبلغُ الإنسانُ التَّطويبةَ الأولى، تنفتحُ أمامَهُ الطَّريقُ نحوَ التَّاليةِ كنتيجةٍ منطقيَّةٍ للتأمُّلِ، حتَّى وإنْ بدتِ الجملةُ التَّاليةُ وكأنَّها تُقدِّمُ شيئًا جديدًا.

قد يعترضُ السّامِعُ قائلًا: إنَّ ترتيبَ الدَّرَجاتِ (التطويباتِ) يجعلُ قَبولَ ميراثِ الأرضِ بعدَ ملكوتِ السَّماواتِ أمرًا مُستبعَدًا. فإذا اتَّبَعْتَ هذه العِظَةَ طبيعةَ الأُمُورِ، لكانَ الأنسبُ وضعُ الأرضِ قبلَ السَّماءِ، لأنَّ صعودَنا يبدأُ من الدَّرجةِ الأُولى إلى الثَّانية. ولكنْ إذا مَنَحْنَا هذه العِظَةَ أجنحةً، وارتَقَيْنا على مَتنِ الفُلكِ السَّماويِّ، سَنَكْتَشِفُ أَنَّ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي حُفِظَتْ لِتَكُونَ مِيرَاثًا لِلَّذِينَ عَاشُوا حَيَاةَ ٱلْفَضِيلَةِ، تَقَعُ فَوْقَ ٱلسَّمَاوِيَّةِ. التي حُفِظَتْ لتكونَ ميراثًا للَّذينَ عاشوا حياةَ الفضيلةِ، تقعُ فوقَ السَّماويَّةِ. ذلكَ لأنَّ كلَّ ما يَنتمي إلى الإدراكِ الحسِّيِّ يبقَى مُرتبِطًا بذاتِه فقط، حتَّى وإنْ بدَا ساميًا بالنِّسبةِ للعلاقاتِ المَكانيَّة. ومع ذلكَ، يَظلُّ أدنى من الطَّبيعةِ العَقلانيَّةِ، التي لا يُمكنُ الوُصولُ إليها إلَّا عندما يَقودُ العقلُ الفِكرَ لِيَتَجاوَزَ حدودَ الأشياءِ التي تلمِسُها الحواسُّ.

ملحوظة: (عبارة: «إلَّا عندما يقودُ العقلُ الفِكرَ» تعني أنَّ العقل هو الذي يوجِّه ويسيطر على الفكر، أي أنَّ الفكر ليس أمرًا عشوائيًا أو فوضويًا، بل هو موجَّه من قِبَلِ العقل. العقل هنا يُعتبر المصدر الأعلى للمعرفة، والذي يستطيع أن يوجه الفكر للانتقال إلى مستويات أعلى من التفكير. بمعنى آخر، الفكر يتبع العقل في تفكيره ويتجاوز حدود ما تدركه الحواس من خلاله. الفرق بين العقل والفكر في هذه السياق هو أنَّ العقل يُعتبر القدرة على التفكير والتوجيه العقلاني، بينما الفكر هو العملية التي يقوم بها العقل، أي التفكير نفسه. الفكر يتبع العقل ويتطور بفضل قدرته على الوصول إلى أبعد من الإدراك الحسي.)

فلا تتعجَّبْ إذا سُمِّيَتِ المناطقُ السماويَّةُ بـ «الأرضِ»، لأنَّ «كلمةَ اللهِ»، الذي نزلَ إلينا وتجسَّدَ وصارَ إنسانًا من أجلِ خلاصِنا، قد تكَيَّفَ مع محدوديَّةِ إدراكِنا. نحن لم نستطعْ أن نصعدَ إليهِ، لذا اقتربَ هو منَّا. لقد استعملَ التعبيراتِ المفهومةَ لنا، لِيَنقُلَ لنا الأسرارَ الإلهيَّةَ بالكلامِ والأسماءِ التي ندركُها، مُستخدمًا إياها في سياقِ حياتِنا وظروفِنا البشريَّةِ. وهكذا، في وعدِه السابقِ، سمَّى هذا التطويبَ، الذي يفوقُ الوصفَ في السماءِ، «ملكوتًا».

ملحوظة: («فقد تكيَّف مع محدوديَّة إدراكنا» تعني أنَّ الله، عند تجسُّده، اختار الاقتراب من الإنسان بشكل يتناسب مع طبيعته المحدودة. بما أنَّ الإنسان لا يستطيع فهم الله في كماله الإلهي، فقد أخذ «كلمة الله» شكل الإنسان وصار في عالمنا، ليعيش بيننا ويتكلم بلغة يفهمها الإنسان. هذا التكيُّف لا يعني أنَّ الله قد خسر شيئًا من كماله الإلهي، بل هو تعبير عن محبته العميقة ورغبته في أنْ يلتقيَ بالإنسان حيث هو، في ضعفه وتحديداته.

في هذا السياق، تجسُّد الله هو ليس فقط عن اتخاذه شكل الإنسان، بل أيضًا عن تبني محدودياتنا من أجل التواصل معنا. إذا كان الإنسان محدودًا في فهمه وإدراكه للروحيَّات والأمور الإلهيَّة، فإنَّ الله قد اختار أنْ يكشفَ عن ذاته بطُرق بسيطة وواضحة، بما يتوافق مع قُدرتنا على الفهم.)

ولكن، هل هو يقصدُ أنْ تُشيرَ هذه الكلمةُ إلى مملكةٍ أرضيَّةٍ موقوفةٍ على وَرَثةٍ مُعيَّنين، كتاجٍ مثلًا مُرصَّعٍ بحجارةٍ متلألئةٍ وألوانٍ مُبهرةٍ تسرُّ العيونَ الرقيقةَ؟ هل هو يقترحُ دهاليزَ وستائرَ وعروشًا مُرتفعةً عاليًا وصفوفًا من الحُرَّاسِ الخصوصيِّين، وكلَّ ما يُؤكِّدُ على أهميَّةِ السلطةِ؟ **كلَّا!** ولكنه استعملَ هذه الكلمةَ لوصفِ الخيراتِ السماويَّةِ، لأنَّ كلمةَ «ملكوت» إنما هي شيءٌ عظيمٌ وتسمو عمليًّا على كلِّ الأمورِ الأخرى التي يشتهيها البشرُ في الحياةِ. لأنه لو وُجِدَ أيُّ شيءٍ أسمى من الملكوتِ بينَ البشرِ، لكان بالتأكيدِ قد استعملَ تلكَ الكلمةَ ليُثيرَ الرغبةَ في التطويبِ الذي يفوقُ الوصفَ في نفوسِ سامعيه.

لأنَّه كان من المستحيلِ على تلكَ الخيراتِ، التي هي فوقَ إدراكِ البشرِ ومعرفتِهم، أن تُستَعْلَنَ لهمْ بأسمائها الصحيحةِ، لأنَّ الرسولَ بولس يقولُ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ» (١ كو٢: ٩). ولكنَّنا نتعلَّمُ عن الأمورِ التي تفوقُ الوصفَ حسبَ وضاعةِ طبيعتِنا، حتى لا يفلتَ التطويبُ الذي نرجوهُ بالكليَّةِ من إدراكِ تصوُّرِنا. وعلى ذلكَ، فإنَّ كلمةَ «الأرضِ»، رغمَ أنها تأتي بعدَ كلمةِ «السماءِ» في التطويبِ الأولِ، فلا ينبغي أنْ تهبطَ بتفكيرِكم إلى

الأرضِ السفليَّةِ؛ ولكن إن كانَ «**الكلمةُ**» في التطويبِ السابقِ قد سَمَى (علا وارتفع) بأذهانِكم إلى الرجاءِ السماويِّ، فينبغي أن تسألوني عن تلكَ الأرضِ التي ليست هي ميراثَ الجميعِ، بل فقط لأولئك الذين جعلتهم حياتُهم المقدَّسةُ مستحقِّين لهذا الوعدِ.

وأعتقدُ أنَّ **داودَ النبيَّ العظيمَ، المُلهَمِ بالرُّوحِ القُدُسِ**، قد رأى أيضًا ذلكَ مُسْبَقًا، لأنَّ الكتابَ المقدَّسَ يُعلِنُ أنه كانَ وديعًا وطويلَ الأناةِ أكثرَ من كلِّ مُعاصِريه. فقد أدركَ بالإيمانِ الأمورَ التي نرجوها عندما قالَ: «أُومِن أَنِّي رأيتُ جُودَ الرَّبِّ (أو خيراتِ الربِّ) فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ» (مز٢٦:١٣). لأنَّني لا أفترضُ أنَّ هذا **النبيَّ** قد سمَّى هذه الأرضَ «أَرْضِ الأَحْيَاءِ»، حيث إنها تُعطي فقط أمورًا مائتةً ثم تُلاشي في ذاتِها كلَّ شيءٍ يأتي منها. ولكنه قصدَ **أرضَ الأحياءِ** الذين لا يقتربُ منهم **الموتُ الأبديُّ**، وحيث لا يطأُ الأحياءُ طريقَ الخُطاةِ، وحيث لا يجدُ الإثمُ موطئًا لقدميه. تلكَ الأرضُ التي لا يمكنُ لزارعِ الزوانِ أن يشقَّها بمحراثِ شرِّه، والتي لذلك لا تُنتِجُ شوكًا وحَسَكًا؛ بل هي أرضُ ماءِ الإنعاشِ والأماكنِ الخضراءِ حيث يتفجَّرُ ينبوعُ الماءِ الحيِّ، وهي الكرمةُ التي يعتني بها **إلهُ** الخليقةِ كلها، بل كلُّ الأشياءِ الأخرى التي يُعلِّمنا إيَّاها الكتابُ المُوحَى به بالأمثالِ.

وَإِذَا أَمْكَنَنَا أَنْ نَتَأَمَّلَ الْأَرْضَ الَّتِي تَسْمُو فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، الَّتِي عَاصِمَتُهَا هِيَ مَدِينَةُ الْمَلِكِ، الَّتِي – كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ – «... أُمُورٌ مَجِيدَةٌ قِيلَتْ عَنْكِ يَا مَدِينَةَ اللهِ» (مز٨٧:٣ سبعينيَّة)؛ إِذَا أَمْكَنَنَا ذَلِكَ، فَلَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ نَندهَشَ مِنْ تَرْتِيبِ التَّطْوِيبَاتِ الَّتِي تَتْبَعُ بَعْضَهَا بَعْضًا. لِأَنَّنِي لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ السُّفْلِيَّةَ أَمْكَنَ أَنْ تَكُونَ قُدِّمَتْ بِطَرِيقَةٍ مَعْقُولَةٍ عَلَى الْآمَالِ السَّعِيدَةِ لِلَّذِينَ – كَمَا يَقُولُ (**بُولُسُ**) **الرَّسُولُ** – «سَيُخْطَفُونَ فِي السُّحُبِ لِمُلاقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا يَكُونُونَ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ» (انظُر ١تس ٤: ١٧). فَأَيُّ فَائِدَةٍ يُمْكِنُ لِهَذِهِ الْأَرْضِ أَنْ تَبْقَى لِلَّذِينَ تَمْتَدُّ حَيَاتُهُمْ فِي آمَالٍ سَامِيَةٍ بِهَذَا الْمِقْدَارِ؟ لِأَنَّنَا سَوْفَ نُخْطَفُ لِنَكُونَ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ.

ما هي الوداعة؟

وَلَكِن دَعْنَا نُفَكِّرُ مِلْءَ قَلْبِنا فِي الْمِيزَةِ الَّتِي يُكافَأُ بِهَا الَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ. يَقُولُ الكِتَابُ: «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ». فَمَا هِيَ الْوُدَاعَةُ؟ وَلِمَاذَا اعْتَبَرَ **الكَلِمَةُ «كَلِمَةَ اللهِ»** الْوُدَاعَةَ مُطَوَّبَةً؟ إِذَا كَانَ هَذَا التَّعْبِيرُ يَقْصِدُ بِهِ كُلَّ مَا يُعْمَلُ بِهُدُوءٍ وَبِبُطْءٍ، فَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ الإِنْسَانَ يُعْتَبَرُ فَاضِلًا لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ يَعْمَلُ بِبُطْءٍ أَوْ بِرِفْقٍ، بِدُونِ تَمْيِيزٍ. فَمَثَلًا، لَا يَكُونُ «الْوَدِيعُ» الْبَطِيءَ بَيْنَ الْمُتَسَابِقِينَ أَفْضَلَ مِمَّنْ يَرْكُضُ إِلَى الأَمَامِ، وَلَا الْمُلاكِمُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ بِعَدَمِ لِيَاقَةٍ سَيَأْخُذُ الإِكْلِيلَ مِنْ خَصْمِهِ. فِي الْحَقِيقَةِ، الْقُدِّيسُ بُولُسَ يَنْصَحُنَا بِخُصُوصِ سَبَاقِنا مِنْ أَجْلِ جَائِزَةِ دَعْوَتِنا السَّمَاوِيَّةِ أَنْ نَزِيدَ مِنْ سُرْعَتِنا، فَيَقُولُ: «هَكَذَا اركُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا» (١كو٩:٢٤). لَقَدْ كَانَ بُولُسُ الرَّسُولُ حَقًّا مُحَارِبًا حَكِيمًا، وَقَدْ رَاقَبَ بِتَأَنٍّ هُجُومَ خُصُومِهِ.

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفُوا طَرِيقَةَ بُولُسَ الرَّسُولِ فِي الْحَرْبِ؟

أُنْظُرُوا إِلَى جُرُوحِ خُصُومِهِ! أُنْظُرُوا إِلَى الْكَدَمَاتِ وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي تَرَكَها فِي عَدُوِّهِ الْمَهْزُومِ!

إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ جَيِّدًا الْعَدُوَّ الَّذِي يُحَارِبُ بِوَاسِطَةِ الْجَسَدِ، وَالَّذِي يُؤَدِّبُهُ (الرَّسُولُ) بِإِتْقَانِ مُلَاكَمَتِهِ: «أُقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ» (١كو٩: ٢٧). إِنَّهُ يَخْدِشُهُ بِأَظَافِرِ عِفَّتِهِ، إِنَّهُ يُمِيتُ أَعْضَاءَهُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَبِالْبَرْدِ وَالْعُرْيِ. إِنَّهُ يُوَجِّهُ ضِدَّهُ «سِمَاتِ الرَّبِّ» (غَلَاطِيَّة ٦:١٧). إِنَّهُ يَهْزِمُهُ فِي السِّبَاقِ وَيَتَفَوَّقُ عَلَيْهِ. وَهَكَذَا فَإِنَّ بُولُسَ (الرَّسُولَ) إِنَّمَا هُوَ مُحَارِبٌ خَفِيفُ الْحَرَكَةِ وَفَطِنٌ. وَدَاوُدُ النَّبِيُّ (كَانَ) يُوَسِّعُ خَطَوَاتِهِ (مَزَامِيرُ ١٨: ٣٦) فِي مُطَارَدَةِ عَدُوِّهِ؛ وَالْعَرِيسُ فِي سِفْرِ النَّشِيدِ يُشَبَّهُ بِظَبْيٍ بِسَبَبِ سُرْعَتِهِ: «طَافِرًا عَلَى الْجِبَالِ، قَافِزًا عَلَى التِّلَالِ» (نَشِيدُ الأَنْشَادِ٢: ٨).

وَهُنَاكَ أَقْوَالٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَضَعُ سُرْعَةَ الْحَرَكَةِ فَوْقَ الْبُطْءِ الَّذِي يُلَازِمُ الْوَدَاعَةَ. فَلِمَاذَا، إِذًا، يَعْتَبِرُ **الْكَلِمَةَ** هُهُنَا الوداعَةَ مُطَوَّبَةً، وَمِنَ النَّوْعِ الْمَقْبُولِ؟ لِأَنَّهُ يَقُولُ: «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ». فَهُوَ يَقْصِدُ بِالتَّأْكِيدِ الْأَرْضَ الْمُثْمِرَةَ بِالْخَيْرَاتِ، حَيْثُ تُرْفِرِفُ شَجَرَةُ الْحَيَاةِ بِأَوْرَاقِهَا الْمَرْوِيَّةِ مِنْ يَنَابِيعِ النِّعَمِ الرُّوحِيَّةِ. إِنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي تُنْبِتُ الْكَرْمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، وَقَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّ كَرَّامَهَا هُوَ الْآبُ السَّمَاوِيُّ (يو١٥:١).

إِنَّ مَا يُرِيدُ **الْكَلِمَةَ** أَنْ يُوضِّحَهُ يَبْدُو أَنَّهُ شَيْءٌ مِثْلُ ذَلِكَ: إِنَّهُ يُوجَدُ مَيْلٌ شَدِيدٌ نَحْوَ الشَّرِّ فِي الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ سَرِيعَةٌ فِي تَحَوُّلِهَا إِلَى الْأَسْوَأِ. فَمَثَلًا، لَا تَتَحَرَّكُ الْأَجْسَادُ الثَّقِيلَةُ قَطُّ إِلَى أَعْلَى، وَلَكِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مَطْرُوحَةً مِنْ عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ عَالٍ، فَإِنَّ ثِقَلَهَا يَجْعَلُهَا تُسْرِعُ الْحَرَكَةَ إِلَى أَسْفَلَ بِقُوَّةٍ، لِدَرَجَةِ أَنْ سُرْعَتَهَا تَفُوقُ التَّصَوُّرَ. وَعَلَى ذَلِكَ، فَطَالَمَا أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ تَكُونُ السُّرْعَةُ خَطِرَةً، فَإِنَّ تَصَوُّرَ مَا هُوَ عَكْسُهَا يُعْتَبَرُ مُطْلَقًا. إِنَّ الْعُرْفَ الَّذِي يُفْسِحُ الْمَجَالَ لِمِثْلِ هَذِهِ الدَّوَافِعِ الْمُتَّجِهَةِ إِلَى أَسْفَلَ بِبُطْءٍ وَصُعُوبَةٍ يُدْعَى «وَدَاعَةً». لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّارَ، الَّتِي تَمِيلُ بِطَبِيعَتِهَا لِلتَّحَرُّكِ إِلَى أَعْلَى، لَا تَتَحَرَّكُ فِي اَلِاتِّجَاهِ اَلْعَكْسِيِّ؛ هَكَذَا أَيْضًا اَلْفَضِيلَةُ، فَهِيَ سَرِيعَةُ اَلْمَيْلِ إِلَى اَلَاشْيَاءِ اَلْعُلْيَا بِدُونِ اَلإِبْطَاءِ مِنْ سُرْعَتِهَا، فِي حِينِ أَنَّهَا تُقَيِّدُ حَرَكَتَهَا فِي اَلِاتِّجَاهِ اَلْعَكْسِيِّ.

لِذَٰلِكَ فَحَيْثُ إِنَّ طَبِيعَتَنَا تُسْرِعُ جِدًّا إِلَى ٱلِاتِّجَاهِ نَحْوَ ٱلشَّرِّ؛ فَإِنَّ ٱلْبُطْءَ وَٱلتَّأَنِّيَ فِي تِلْكَ ٱلْأُمُورِ، يُعْتَبَرُ مُطْلَقًا. أَنَّ ٱلتَّأَنِّيَ فِي مِثْلِ هَٰذِهِ ٱلْأُمُورِ يُبَرْهِنُ عَلَىٰ ٱتِّجَاهِ ٱلْحَرَكَةِ إِلَىٰ أَعْلَىٰ.

إِنَّ كُلَّ إِنسَانٍ مُؤَهَّلٌ لِتَحْرِيكِ إِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ فِي اتِّجَاهَيْنِ فِيهِ: فَعَلَى مَا يَبْدُو لَهُ أَنَّهُ صَالِحٌ، فَهُوَ قَدْ يَتَحَوَّلُ نَحْوَ اَلْاعْتِدَالِ، هَذَا مِنْ نَاحِيَةٍ؛ أَوْ نَحْوَ اَلْانْحِرَافِ، مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى. فَمَا يُقَالُ إِنَّهُ يَكُونُ هُوَ شَكْلُ اَلْفَضِيلَةِ أَوِ الرَّذِيلَةِ جُزْئِيًّا، فَهُوَ يُفْهَمُ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ كَذَٰلِكَ أَيْضًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْكُلِّ. لِأَنَّ شَخْصِيَّةَ الإِنسَانِ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى دَوَفِعِ عَكْسِيَّةٍ.

ملحوظة: («لِأَنَّ شَخْصِيَّةَ الإِنسَانِ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى دَوَفِعِ عَكْسِيَّةٍ»، تشير إلى فكرة أنَّ الشخصيَّة البشريَّة تتسم بتناقضات داخليَّة أو دوافع متضاربة. بمعنى آخر، يتأرجح الإنسان بين رغبات أو ميول متعاكسة، فهناك دافع نحو الخير والاعتدال، ودافع آخر نحو الشرّ والانحراف. هذا التناقض داخل النفس البشريَّة هو ما يجعل الإنسان في حالة صراع داخلي دائم بين الاختيارات التي تؤدي إلى الفضيلة أو الرذيلة.)

فَالغَضَبُ هُوَ مُضَادٌّ لِلرَّقَّةِ، وَالْعَجْرَفَةُ مُضَادَّةٌ لِلتَّوَاضُعِ، وَالْحَسَدُ مُضَادٌّ لِلرَّغْبَةِ فِي خَيْرِ النَّاسِ، وَالْحِقْدُ مُضَادٌّ لِلْمَيْلِ الْمُحِبِّ وَالْمُسَالِمِ. وَالْحَيَاةُ

الْبَشَرِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ حَقًّا مَادِّيَّةٌ، وَالْأَهْوَاءُ تَخُصُّ الْمَادَّةَ، وَكُلٌّ مِّنْهُمَا يُمْتَلَكُ بِوَاسِطَةِ الشَّهْوَةِ الْعَارِمَةِ وَالْمُتَعَذِّرَةِ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ إِشْبَاعِ إِرَادَتِهَا، لِأَنَّ الْمَادَّةَ ثَقِيلَةٌ وَتَمِيلُ إِلَى أَسْفَلِ.

وَعَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الرَّبَّ لَا يَعْتَبِرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي عُزْلَةٍ كَامِلَةٍ عَنِ الْأَهْوَاءِ مُطَوَّبِينَ، لِأَنَّهُ مِّنَ الْمُسْتَحِيلِ الِاطْمِئْنَانُ إِلَى طَرِيقَةِ حَيَاةٍ رُوحِيَّةٍ تَامَّةٍ وَخَالِيَةٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَمَحْصُورَةٍ فِي وُجُودٍ مَادِّيٍّ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ يُسَمِّي مُسْتَوَى الْفَضِيلَةِ الَّتِي يُمْكِنُ الْبُلُوغُ إِلَيْهَا فِي حَيَاةِ الْجَسَدِ «وَدَاعَةً»، وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ الْوَدَاعَةَ تَكْفِي لِلتَّطْوِيبِ.

مِنْ ثَمَّ فَإِنَّ التَّطْوِيبَ يُوصِي بِالتَّوَاضُعِ وَالْوَدَاعَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ غِيَابٌ تَامٌّ لِلْهَوَى، لِأَنَّ هَذَا الْآخِرَ إِنَّمَا هُوَ خَارِجُ مَجَالِ الطَّبِيعَةِ، فِي حِينَ أَنَّ التَّوَاضُعَ يُمْكِنُ تَحْقِيقُهُ بِوَاسِطَةِ الْفَضِيلَةِ. فَإِذَا أَوْصَى التَّطْوِيبُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ لَا يَكُونَ مُتَحَرِّكًا بِالشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ الطُّوبَى تَكُونُ عَدِيمَةَ الْجَدْوَى تَمَامًا لِلْحَيَاةِ.

ملحوظة: («فَإِنَّ الطُّوبَى تَكُونُ عَدِيمَةَ الْجَدْوَى تَمَامًا لِلْحَيَاةِ»: تعني أن التطويب (البركة أو الطوبى) سيكون بلا قيمة أو نفع تمامًا في الحياة إذا كان الهدف منه هو مجرد الامتناع الكامل عن الشهوات أو الهوى. القديس غريغوريوس النيصي: هنا يشير إلى أنَّ التطويب الذي يوصي بالتواضع والوداعة يجب أنْ يكون موجَّهًا نحو تحسين الحياة الروحيَّة والأخلاقيَّة، وليس مجرد تجنب الهوى والشهوات من دون تحقيق الفضائل الحقيقيَّة التي تؤدي إلى تطور الإنسان الروحي والخُلقي. بعبارة أخرى، الحياة لا تكون مفيدة أو مليئة بالبركة إذا كانت خالية من الفضائل الحقيقيَّة، بل مجرَّد تجنُّبٍ للأهواء دون سعيٍ للنموِّ الروحي.)

فَحَقًّا مَنْ هُوَ الَّذِي أَمْكَنَهُ أَنْ يَبْلُغَ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، وَهُوَ لَا يَزَالُ مُتَّحِدًا بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ؟ وَلَكِنَّ الرَّبَّ عَمَلِيًّا لَا يَقُولُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يُدَانَ إِذَا اتَّفَقَ أَنْ اشْتَهَى شَيْئًا؛ بَلْ فَقَطْ إِذَا سَمَحَ لِنَفْسِهِ بِتَصْمِيمٍ (بِإِرَادَتِهِ) أَنْ يَنْجَذِبَ إِلَى الْهَوَى (الشَّهْوَةِ). لِأَنَّ الضَّعْفَ الْمُتَأَصِّلَ فِي طَبِيعَتِنَا كَثِيرًا مَا يَجْعَلُ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ تَثُورُ ضِدَّ مَشِيئَتِنَا، فَإِنَّ الْفَضِيلَةَ هِيَ الَّتِي لَا تَجْعَلُنَا نَسْمَحُ لِأَنْفُسِنَا أَنْ يَجْرِفَنَا دَافِعُ الْهَوَى كَمَا بِسَيْلٍ جَارِفٍ؛ بَلْ أَنْ نُقَاوِمَ تِلْكَ الْمَيُول بِشَجَاعَةٍ وَنَهْزِمَ الْهَوَى بِالتَّعَقُّلِ.

فَمُبَارَكُونَ، إِذًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَتَّجِهُونَ بِسُهُولَةٍ نَحْوَ حَرَكَاتِ النَّفْسِ الِانْفِعَالِيَّةِ؛ بَلِ الَّذِينَ يَكُونُونَ رَاسِخِينَ بِالتَّعَقُّلِ. لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْعَاقِلَةَ تَكْبَحُ جِمَاحَ الشَّهَوَاتِ مِثْلَ لِجَامٍ، وَلَا تَجْعَلُ النَّفْسَ تَنْحَرِفُ إِلَى عَدَمِ السَّيْطَرَةِ.

كَمْ تَكُونُ الْوَدَاعَةُ مُبَارَكَةً بِالنِّسْبَةِ لِوَجَعِ الْغَضَبِ! فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ «الْكَلِمَةَ» يَأْمُرُنَا أَنْ نَكُونَ وُدَعَاءَ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِالتَّوَاضُعِ مُبَاشَرَةً فِي التَّطْوِيبِ الْأَوَّلِ. فَيَبْدُو أَنَّ أَحَدَهُمَا يَتْبَعُ الْآخَرَ بِإِحْكَامٍ، وَأَنَّ التَّوَاضُعَ الْمُؤَسَّسَ جَيِّداً كَأَنَّهُ هُوَ أُمُّ الْوَدَاعَةِ. فَإِذَا كَانَ التَّوَاضُعُ مُؤَسَّساً بِطَرِيقَةٍ جَيِّدَةٍ، فَلَنْ يَجِدَ الْغَضَبُ مَدْخَلاً فِي النَّفْسِ، وَإِذَا اخْتَفَى الْغَضَبُ تَكُونُ الْحَيَاةُ مُسْتَقِرَّةً فِي حَالَةِ سَلَامٍ؛ وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْوَدَاعَةِ الَّتِي الْغَايَةُ مِنْ اقْتِنَائِهَا هُوَ التَّطْوِيبُ وَمِيرَاثُ الْوَطَنِ السَّمَاوِيِّ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ، آمِينَ.

(١) يُلاحَظ أنَّ القديس غريغوريوس النيسي وَضَعَ هنا التطويب الثالث بعد التطويب الأول، ويتضح سبب ذلك من شرح هذه الآية.

قَالَ أَحَدُ الآباء: نصيحَتي لَك هِيَ أَنْ تَبدأَ فِي تَخصِيصِ وَقْتٍ يَوْمِيٍّ لِلْقِرَاءَةِ، حَتَّى لَوْ كَانَ بِضْعَ دَقَائِقَ. إِجْعَلْهَا عَادَةً بَسِيطَةً تَبدأُ بِهَا يَوْمَكَ أَوْ تَنْهِيهِ. حَاوِلْ أَنْ تَقْرَأَ مَا يَتَنَاسَقُ مَعَ اهْتِمَامَاتِكَ وَتُضِيفُ إِلَى رُوحِكَ وَعَقْلِكَ. القِرَاءَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى جَمْعِ المَعْلُومَاتِ، بَلْ هِيَ وَسِيلَةٌ لِلنُمُوِّ الشَّخْصِيِّ وَالرُّوحِيِّ. كُلُّ صَفْحَةٍ تَقْرَؤُهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ خُطْوَةً نَحْوَ فَهْمٍ أَعْمَقَ لِحَيَاتِكَ، وَلِعَلَاقَتِكَ بِاللهِ، وَلِعَلَاقَتِكَ بِالآخَرِينَ. اعْمَلْ عَلَى جَعْلِ القِرَاءَةِ جُزْءًا مِنْ يَوْمِكَ، وَسَتَجِدُ فِي النِّهَايَةِ كَيْفَ أَنَّ كُلَّ كِتَابٍ أَوْ فِكْرَةٍ جَدِيدَةٍ تَنْعَشُ رُوحَكَ وَتُوَسِّعُ آفَاقَكَ.

وكما قال الشاعر:

مَنْ بَدَّلَ بِالكُتُبِ الصِّحَابَا ... لَم أَجِدْ لِي وافِيًا إِلَّا الكِتَابَا
صاحِبٌ إِنْ عِبْتَهُ أَو لَمْ تَعِبْ ... لَيسَ بِالوَاجِدِ لِلصَاحِبِ عَابَا
كُلَّمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَنِي ... وَكَساني مِن حِلَى الفَضْلِ ثِيَابَا

تفسير: «كُلَّمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَنِي»: هو يقصد أنَّ الكتاب، في كُلِّ مرَّةٍ يُطالعُه أو يتفاعل معه، يمنحه تجديدًا داخليًّا أو معنويًّا. بمعنى آخر، الكتاب يضفي عليه تأثيرًا إيجابيًّا يعيد إليه النشاط الروحي أو الفكري، وكأن الشخص يتجدَّد بفضل ما يقرأ.

وَمَعَ بَدَايَةِ الصَّوْمِ الأَرْبَعِينِيِّ الْمُقَدَّسِ، تَتَجَلَّى أَمَامَكَ دَعْوَةٌ سَمَاوِيَّةٌ إِلَى العَوْدَةِ إِلَى اللهِ بِكُلِّ قَلْبِكَ. هَذَا الوَقْتُ الْمُقَدَّسُ لَيْسَ مُجَرَّدَ فُرْصَةٍ لِامْتِنَاعِ الجَسَدِ عَنِ الطَّعَامِ، بَلْ هُوَ رِحْلَةُ تَوْبَةٍ عَمِيقَةٍ لِتَطْهِيرِ النَّفْسِ وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ.

إِنَّ قِرَاءَةَ الكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَالتَّأَمُّلَ فِي كَلِمَاتِهِ الحَيَّةِ يُحْيِيَانِ فِيكَ عَطَشًا لِحُضُورِ اللهِ، وَيُعَمِّقَانِ إِدْرَاكَكَ لِمَعَانِي الخَلَاصِ. اجْعَلْ صَلَاتَكَ وَقِرَاءَتَكَ امْتِدَادًا لِشَرِكَةِ حُبٍّ مَعَ اللهِ، لِيَكُونَ هَدَفُكَ الْمَرْكَزِيُّ فِي حَيَاتِكَ هُوَ خَلَاصُ نَفْسِكَ، مُسْتَنِدًا عَلَى نِعْمَةِ المَسِيحِ الْمُخَلِّصِ، الَّذِي تَجَسَّدَ وَصَارَ إِنْسَانًا لِيُعِيدَكَ إِلَى حِضْنِ الآبِ.

دَعْ هَذَا الزَّمَنَ يَكُونُ وَاحَةً رُوحِيَّةً تُجَدِّدُ فِيهَا إِيمَانَكَ، وَتُعِيدُ تَرْتِيبَ أَوْلَوِيَّاتِكَ بِحَسَبِ إِرَادَةِ اللهِ، وَتُغَذِّي رُوحَكَ بِنُورِ الحَقِّ، فَتَعِيشَ الصَّوْمَ كَتَقْدِمَةٍ قَلْبِيَّةٍ تَلِيقُ بِحُبِّ اللهِ العَمِيقِ لَكَ.

دير ستافرونيكيتا المقدس هو أحد الأديرة العشرين في جبل آثوس، ويحتل المرتبة الخامسة عشرة في الترتيب الهرمي لأديرة الجبل المقدس. يُعد أصغر دير في آثوس، ويتميز بهندسته المعماريَّة التي تشبه القلعة ذات الفناء البسيط. وهو دير يوناني يتبع النظام الكوينوبيتيكي (المشترك) منذ عام ١٩٦٨.

يحتفل الدير بعيد شفيعه، **القديس نيقولاس**، في ٦ ديسمبر (بحسب التقويم اليولياني)، الموافق ١٩ ديسمبر (وفقًا للتقويم الغريغوري الحديث). كما يضم الدير الأيقونة الفسيفسائيَّة المعجزة **للقديس نيقولاوس**، المعروفة باسم «**نيقولاوس المحار**» (إشارة إلى المحار وهي من الرخويات).

الموقع: يقع **دير بانتوكراتور** شمال دير **دير ستافرونيكيتا** على بُعد ساعة سيرًا على الأقدام، عبر مسار وعر وضيِّق، ويمكن الوصول إلى **دير إيفيرون** الواقع جنوب شرقي الدير، عبر طريقٍ وعر آخر، وذلك خلال ساعة سيرًا على الأقدام، شريطة أن يكون الطريق سالكًا وغير مغلق بسبب سوء الأحوال الجوية. أما **كارييس**، فتقع غرب **الدير**، وتبعد عنه مسافة ساعة سيرًا على الأقدام، أو ربع ساعة بالسيارة عبر طريقٍ ترابي، تتخلَّله في بعض المناطق مقاطع إسمنتية تمتد بين الغابات.

تاريخ الدير: يعود تاريخ الدير إلى القرن العاشر، حيث كان في بداياته ديرًا صغيرًا (**مونيذريو**) يُعرف باسم **ستافرونيكيتا**. وتوجد فرضيتان حول أصل التسمية: الأولى تشير إلى أن الدير تأسَّس على يد راهبين هما ستافروس ونيكيتاس، بينما تفترض الثانية أنه بُني على يد نيكيفورس ستافرونيكيتا، الذي كان ضابطًا موثوقًا به من قبل **يوحنا تسيمسكي إمبراطور الروم (بيزنطية)** (٩٦٩-٩٧٦) آنذاك، وذلك استنادًا إلى وثائق تعود إلى القرن الحادي عشر، حيث ورد فيها اسم الدير بصيغة «**ستافرونيكيتا**». وبعد ذلك، باعتباره ديرًا صغيرًا، سقط في طيَّات النسيان وهُجر، وتمَّ التخلِّي عنه. لكن في أوائل عام ١٢٨٧م، انتقل إلى ملكيَّة الرهبنة. ثم أُسنِدَ كخليَّة قلَّاية إلى **دير كوتلوموسيو** عام ١٢٨٧م، ومن ثم انتقل إلى **دير فيلوثيو**. وفي عام ١٥٣٣م، اشتراه الراهب غريغوريوس جيرومرياتيس من **دير فيلوثيو**، وتولى إعادة بناء الدير، لكنه لم يتمكن من إكماله بسبب وفاته.

ثمَّ سنة ١٥٣٣م، تولَّى **البطريرك المسكوني وقديس كنيستنا إرميا الأول** بناءً على موافقة وطلب المجمع المقدَّس، مسؤولية إعادة بناء الدير. وقد تولَّى شخصيًا إدارة هذا المشروع حتى عام ١٥٤٢م حيث قام بتزويد الدير بكل ما يلزم لتشغيله وتفعيله، وصنَّفه ضمن الأديرة القائمة في ذلك الوقت. وبهذا، شيَّد كنيسة عظيمة ومدهشة مع الأروقة، واهتم برسم الأيقونات الشهيرة واللوحات الجدارية، حيث كلف الرسام وكاتب الأيقونات الشهير ثيوفانيس الكريتي للقيام بهذا العمل. كما بنى أروقة فاخرة للرهبان، وأقام أبراجًا وقاعة طعام، وشيد جدارًا كبيرًا وقويًا يحيط به، وزينه بحيث بدا وكأنه قلعة. إضافة إلى ذلك، زوَّده بجميع الأدوات الليتورجيَّة اللازمة، وجعله ضمن الأديرة القائمة بالفعل.

بالإضافة إلى ذلك، اشترى من أحد المُلاك العثمانيين عقارًا في **كاساندرا في خالكيذيكي**، وقدَّمه هبةً للدير. وبجانب وضعه لنظام إدارة الدير، **ترك وصيةً على هيئة قانون رهباني**، حيث يذكر في مقدمتها **جهود غريغوريوس وجهوده الخاصة** في إعادة بناء الدير. ومع إعلان خليَّة **ستافرونيكيتا ديرًا رسميًا**، ثبَّت **القديس إرميا الأول** عدد أديرة جبل آثوس عند عشرين ديرًا، والتي، بعد إقرار نظام الوقف، بقيت هذه الأديرة «المؤسسات المستقلة الوحيدة في الجبل المقدس».

ومع ذلك، تعرَّض **دير ستافرونيكيتا** المقدس خلال سنوات الثورة اليونانيَّة لاختبارات وتجارب قاسية، حيث تسببت الحرائق المتتالية، آخرها في عام ١٨٧٩، في تدميره إلى حدٍّ كبير. ولم يتمكن من التعافي إلَّا في بداية القرن العشرين.

أيقونة القديس نيقولاوس ستيريذاس (المحار): تُعتبر إحدى أقدم وأهم آثار الدير: وهي **الأيقونة المعجزة للقديس نيقولاوس (ستريداس)**. إنها أيقونة فسيفسائيَّة تعود الى القرن الثالث عشر (على الطراز الباليولوغي). حوالي عام ١٥٢٥، قام القراصنة، بعد غارة، بضربها على جبين القديس وألقوا بها في البحر. وفي حوالي عام ١٥٨٠ ، اكتشفها رهبان الدير بعدما جذبوا الأيقونة بشباكهم أثناء صيد السمك.

ظلت الأيقونة محفوظة في أعماق البحر لمدة ستة عقود تقريبًا، دون أن تتعرَّض لأي ضرر. فقط في النقطة التي تم ضربها،وُجدت محارة عالقة. خلال أثناء محاولة إزالتها، حدث أمر عجيب: تدفق الدم من العلامة

التي تركتها المحارة! ومن هذه المعجزة، حصل **القديس نيقولاوس** على لقب «ستريداس» (المحار).

يتواجد الدير فوق صخرة كبيرة، ولكنها بدأت تنهار منذ سنوات قليلة. ولكن بفضل اهتمام، قسم **الخدمات الخاصة للدولة K.E.D.A.K**، تمَّ تعزيز هذه الصخرة عن طريق حقنها بالأسمنت وبالتالي تمَّ تثبيتها.

تعتبر القناة الواقعة خارج الدير بأقواسها ذات أهمية معمارية كبيرة.

يوجد في الكاتدرائيَّة لوحات جداريَّة للفنان وكاتب الأيقونات الشهير **ثيوفانيس الكريتي**.

رئيس الدير: الأرشمندريت تيخونس ستافرونيكيتيانوس.

من بين الرهبان الذين جاهدوا في **دير ستافرونيكيتا**: الراهب تيموثاوس ستافرونيكيتيانوس من بيثينيا (بورصة)، في آسيا الصغرى)، الذي عاش **كأحمق** من أجل المسيح.

ملحوظة: (الحَمَاقَةُ مِنْ أَجْلِ المَسِيحِ تشير إلى فئةٍ خاصةٍ من القديسين في جسد الكنيسة، الذين من خلال تصرفاتهم الغريبة وغير المتوقعة، تمكّنوا من تحقيق القداسة وجذب الناس إلى الكنيسة.)

پاراكليسيَّا (الكنائس الصغيرة): الباراكليسي هي كنيسة صغيرة تضم مذبحًا (المائدة المقدسة) ذات مساحة مقدسة، وتعد مكانًا خاصًا للعبادة. توجد الباراكليسي في أماكن متعددة مثل الأديرة المقدسة، القصور، المعسكرات، المستشفيات، والمرافق التي تستقبل الزوار. كما يمكن أن توجد أيضًا في المقابر، وأحيانًا على السفن، سواء كانت سفنًا سياحيَّة أو سفنًا كبيرة، بما في ذلك السفن الحربيَّة. في بعض الأحيان، تمثل الباراكليسي منطقة خاصة داخل الهيكل، أو بالقرب منه.

يحتوي **دير ستافرونيكيتا**، إلى جانب كنيسة الكاثوليكون المركزيَّة، على ثمانية كنائس صغيرة (باراكليسيًّا). من بين هذه الكنائس، توجد **ستة** داخل حدود الدير **واثنان** خارجه. تقع كنيسة رؤساء الملائكة في الجناح الجنوبي، وقد بُنيت عام **١٦٦٧**. كما تقع كنيسة ينبوع **والدة الإله**، وكنيسة القديس إليفثيريوس على الجانب الجنوبي الشرقي، وقد تم بناؤهما في عام **١٨٤٠** ولهما قبة مغطاة بالرصاص. أما كنيسة القديس يوحنا المعمدان، فتقع على الجانب الأيمن داخل غرفة الطعام الرئيسيَّة للدير، أي في القسم الجنوبي من الدير. وتنسب لوحاتها (أيقوناتها) الجدارية إلى الرسام ثيوفانيس الكريتي، ويعود تاريخها إلى حوالي عام **١٥٤٦**.

في الطابق الأرضي، أسفل مائدة الطعام، توجد كنيسة القديس غريغوريوس پالاماس. أما الباراكليسي للقديسة حنَّة، أم **والدة الإله**، فيقع في الطابق الرابع من برج الدير، وقد تم بناؤه بين عامي **١٥٤٦** و **١٦٠٧**. فيما تقع كنيسة القديس ديميتريوس، التي توجد في المقبرة، على بُعد دقيقتين من الدير، على الطريق المؤدي إلى البحر (مرسى أو رصيف الدير). تحتوي الكنيسة على لوحات جدارية تعود إلى عام **١٧٨٩**.

تحت أرضيَّة براكليسي القديس ديميتريوس (الموجود في المقبرة)، يوجد مكان خاص يُحفظ فيه عظام الرهبان الذين رقدوا. وأخيرًا، على بُعد عشر دقائق شمال غرب الدير، تقع كنيسة القديسين الخمسة الشهداء: أوستراتيوس، أفكسينتيوس، إيجينيوس، ماردايوس، وأوريستيس، الذين استشهدوا في كابادوكيا في **عهد الإمبراطورين الرومانيين دقلديانوس ومكسيميانوس**، وذلك في عام **٢٩٦** م. والتي تمَّ بنائها عام **١٧٨٥**م، ولكن اليوم لم يبقَ منها إلَّا القليل من الآثار، أي أنها غير مستخدمة.

إضافات: تقع **قلالي دير ستافرونيكيتا في منطقة كارييس (عاصمة الجبل المقدَّس)، وكابساليس** وهي المنطقة الواقعة بين **الدير وكارييس**. ضمن منطقة ممتلكات الدير، فإن القلالي التي تتبع الدير هي: قلايَّة رؤساء الملائكة القديسين، النبي إيليا، القديس كيريكوس (**القديس كِيريكُوس: يُحتفل به مع والدته القديسة جولييت وهما من إيقونيَّة (آسيا الصغرى) في ١٥ يوليو تموز شرقيًا.**)، قلاية القديس أونوفريوس، قلاية الأقمار الثلاثة غريغوريوس اللاهوتي، باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم، وقلاية القديس السابق يوحنا المعمدان، وقلاية رؤساء الملائكة. ويضم الدير أيضًا **٢٥** (**كاليڤيس**) **كوخًا** آخرين في **منطقة كابسالا**، التابعة **للدير المقدس ستافرونيكيتا العامر**، و **١٥ قلَّاية**.

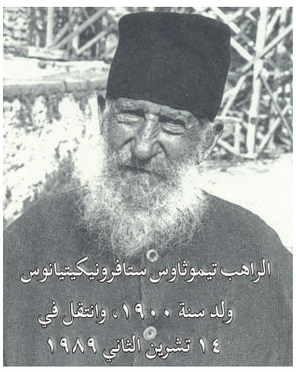
الراهب تيموثاوس ستافرونيكيتيانوس
ولد سنة ١٩٠٠، وانتقل في
١٤ تشرين الثاني ١٩٨٩

ملحوظة: الكلمة اليونانية (**كاليڤيس**) ***(Καλύβες)*** تعني «**كوخ**» أو «مأوى»، تشير إلى أماكن سكن الرهبان الذين يعيشون حياة التقشُّف في الأديرة. هذه الأكواخ تُعتبر مكانًا للصلاة والتأمل، بعيدًا عن الترف، حيث يمارس الرهبان حياتهم الروحيَّة في عزلة.

القلَّاية في **منطقة كابسالا** سُمِّيت على اسم الصليب المقدس. هناك عاش **المطوَّب البار تيخون المبارك، شيخ القديس بايسيوس المبارك**. عاش هذا القديس في هذه القلَّاية لعدة سنوات بعد وفاة شيخه تيخون، وقبل ذهابه إلى **كوتلوموسياني، اسقيط بانتيليمونوس (پانديليمون)**.

مكتبة الدير: تحتوي مكتبة **دير ستافرونيكيتا** على **٢٠٦** مخطوطات، منها **٣٤** مخطوطة مزخرفة، وتشمل مخطوطات هامة تعود إلى العصور الكلاسيكيَّة والمتأخرة. بدأ توثيق المخطوطات من قبل **سبيريدون لامبرو**، الذي سجل ما مجموعه **١٦٩** مخطوطة. بالنسبة لأول **٥٦** مخطوطة مكتوبة على الرقّ، هناك فهرس من جزئين أعدَّه **غبريال ستافرونيكيتا** في عامي **١٩١٥–١٩١٦**، حيث وصف أيضًا **٥** مخطوطات أخرى مكتوبة على الرقّ و**٤ إيلاتاريا (لفائف)** لم يتم تسجيلها من قبل **لامبرو**. بالإضافة إلى ذلك، نشر **لينوس بوليتيس** في عام **١٩٥٣** فهرسًا تكميليًّا يصف **١١** مخطوطة أخرى (رقم ١٧٥–١٨٥).

من اهم المخطوطات: الإنجيل المخطوط **٤٣** (نهاية القرن العاشر)، التي يُظهر صورًا للإنجيليين الأربعة كفلاسفة قدامى. والمزامير الفنيَّة **٤٦** (القرن١٢)، مكتوبة بحروف ذهبيَّة وحمراء، ومزخرفة بالعنوان الأول والحروف التي في بدء الكلمة. تشمل المجموعات أيضًا أعمالًا من العصور القديمة مثل: **أناشيد الإلياذة، وأمثال إيسوب، وحوارات لوقيانوس، وكتاب «حول الأحلام»**، بالإضافة إلى **رسائل سينيسيوس**. تحتوي مكتبة **دير ستافرونيكيتا** أيضًا على العديد من الكتب المطبوعة القديمة. يشير **توماس بابادوبولوس** في كتابه «**مكتبات جبل آثوس**» (ص٧) إلى أنَّ أول إصدار يوناني تمَّ العثور عليه في **دير ستافرونيكيتا** يعود إلى عام **١٥٢٣**. وهو «**المعجم الكبير والمفيد للغاية**» للكاتب **بارينوس فافورينوس**، والذي قام بتحريره **زاخاريا كاليرجي**.

Σπάνιο κειμήλιο της Ιεράς Μονής Σταυρονικήτας

ذخائر مقدَّسة نادرة ـ دير ستافرونيكيتاس العامر والمقدَّس

ذخيرة مقدَّسة لليد اليسرى للقديسة حنة أم والدة الإله

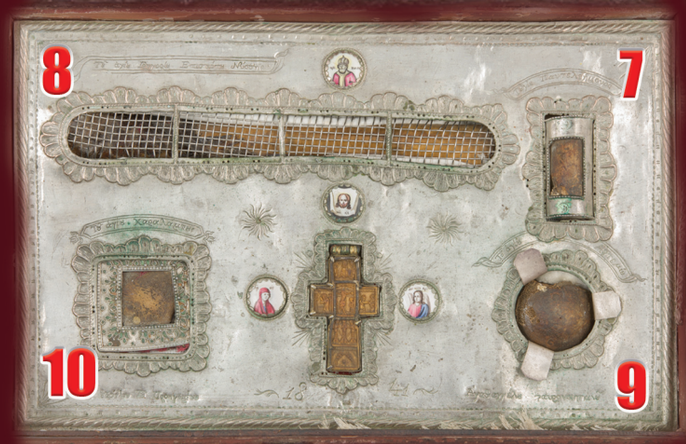

1 خشبةُ الصليبِ الكريمِ المُحيي

2 ذخيرةُ القديسِ خريستوفورس

3 ذخيرةُ القديسِ تريفون

4 ذخيرةُ القديسِ يواساف

5 ذخيرةُ القديسِ خَرالمبوس

6 ذخيرةٌ مقدَّسةٌ لليدِ اليُسرى للقديسةِ حنَّةَ، أُمِّ والدةِ الإله

7 ذخيرةُ القديسِ بَندِلِيمون

8 ذخيرةُ القديسِ غريغوريوس النيصي

9 ذخيرةُ القديسِ أغاثاڤِيلَا ستِفرونيكِيتون

10 ذخيرةُ القديسِ خرالمبوس

11 ذخيرةُ القديسِ ستيفانوس، أوَّلُ الشهداء

12 أيقونةُ القديسِ نيقولاوس ستِيرِذَا (المحار) العجائبية

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الجزء الرَّابع – الفصل الثاني

† «هُوَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا خَيْرًا، الَّذِي هُوَ حَسَنٌ: أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ وَيَشْرَبَ وَيَرَى خَيْرًا مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، لأَنَّهُ نَصِيبُهُ.» (جامعة ٥:١٨).

لم يتيسّر بناء البيت قُرب الدير خلال شهرٍ كما كتب **لساكوبولوس**. لَقَدْ وَثِقَ بِالْعُمَّالِ، ولكنهم خدعوه. وعند انتهاء شهر آب، لم يكن الجصّ قد اكتمل بعد. ولحسن الحظ، كان العمّال قد وفوا بوعدهم وركّبوا الأبواب والنوافذ.

القديس نكتاريوس اسقف المدن الخمس

وفي أبان (أثناء) الصيف، كان يلبس جبّته القديمة المتهرئة، وقلنسوته الرهبانيَّة، ويحبل الإسمنت بيديه جنبًا إلى جنب مع العمال. وعندما أُلغيت بالفعل أوقات فراغه، تغيّرت حياته. لم يعد له وقتٌ للراحة، ولا للتنزّه بمفرده على التلال أو الشُطآن، ولا للاستماع إلى تغريد عصافير الغاب... أي كل ما كان يُسعده. لقد استأثر برنامجٌ جديد بأفكاره وقواه، فصار يعمل منذ الفجر حتى منتصف الليل.

وكثيرًا ما كان يُلقي نظرة سريعة على الأشجار، شغفه الكبير، ويفرح لرؤية هذه الصنوبرة الصغيرة المتنامية التي زرعتها **مادلين** منذ بضع سنوات. وكان كثيرًا ما يتمتم:

ـ «يا للشجرة الجميلة! إنها متنامية، خضراء، متعافية. ليتمجّد الرَّبّ!»

وكثيرًا ما كان يرى شيئًا يلمع كالماس في وسط المرج الأخضر. قد تكون ذرة عشب صغير أو قطعة من الزجاج المكسور. وكان يحب البيوت المنتشرة في الأسفل، هادئة، وكأنها غير مسكونة، فيملؤه هذا المشهد بالفرح العارم.

وعندما انتهى تشييد البيت في بداية الخريف، انتقل **نكتاريوس** للإقامة فيه، وبدت على وجهه ابتسامة من النشوة والذهول. فطلب من الراهبات اللواتي يتمتعنَ بأصوات جميلة أن يُرتلنَ نشيد شكر **لسيدتنا والدة الإله**. فأنشَدن أبياته بوداعة ومن أعماق القلب. وكان سعيدًا بكل ما يحدث لدرجة أنه ترك لسانه ينطلق ويخضع للحماس، فكان يقول ويردد:

ـ «لِيُبارِكَكُنَّ اللهُ...». ثمَّ أضافَ: «أَحِسُّ اليوم بفرحٍ صافٍ، وبحضور الرَّبِّ؛ وأشعر بالطراوة وكأنّي مولودٌ من جديد.»

كما دعا أحد أصدقائه من **جبل آثوس**، من كاتبي الأيقونات (رسَّامٌ للأيقونات)، وطلب منه أن يكتب (يرسم) أيقونة كبيرة **لوالدة الإله**. وقال له: «لا أملك الكثير من المال، ولكنني أريد الأيقونة كبيرة جدًّا».

فسأله الرجل:–

هل تُريدها من الأسلوب أو النمط الرّومي (البيزنطي) ؟

ـ أنا أُفَضِّلُها من الأسلوب الرُّومي البيزنطي طبعًا، ولكني لا أُريدها منسوخة (منقولة) عن أيقونة أخرى.

ـ إذن يا صاحبَ السيادةِ، دعني أتصَرَّفُ. سوفَ أرسمُها بحسبِ إلهامي: فتاةٌ شابَّةٌ، وسأُشَدِّدُ على نَظَراتِها: فأجعلُها مفعمةً بصرامةٍ وسلطةٍ مَلائِكَتِيَّينِ.

ـ فردَّ **نكتاريوس**: « حسنًا أرجو لكَ النجاح».

الجزء الرَّابع – الفصل الثالث

† « أَحْمِلُ مَعْرِفَتِي مِنْ بَعِيدٍ، وَأَنْسُبُ بِرًّا لِصَانِعِي. حَقًّا لاَ يَكْذِبُ كَلاَمِي. صَحِيحُ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَكَ.» (أيوب ٣٦:٣-٤).

† « فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ وَقَالَ: «مَنْ هذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلاَمٍ بِلاَ مَعْرِفَةٍ؟» (أيوب ٣٨:١-٢).

إنَّ سكانَ المدينتينِ، تلكَ الجُموعَ التي لم تَعُدْ تَراهُ، بَحَثُوا عنهُ في كُلِّ مكانٍ، وَفَتَّشُوا واستَعْلَمُوا، وفي النهايةِ وَجَدُوهُ.

وصارَ الزُّوَّارُ يَتَوافَدُونَ إلى الديرِ شَيْئًا فَشَيْئًا. وكانَ مُعظَمُ الفُقَرَاءِ عَاجِزِينَ عن المجيءِ، عَدا البَعضِ مِنهُمْ، الذينَ كانوا يَأْتُونَ حَتَّى في الشِّتاءِ.

وكان **ساكوبولوس** يَتَجَرَّعُ المَرَارَةَ كل يوم. فإنَّ الانفصال أصبح أَمْرًا واقعًا. وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ التَّخَلِّي عَنْ حُلْمِهِ بِخُصُوصِ مِصْرَ. إِلَّا أَنَّهُ بَقِيَ وَفِيًّا وَمُخْلِصًا. لَقَدْ كَانَ ذَا نَفْسٍ نَادِرَةٍ فِي الوُجُودِ، وَكَعَطِيَّةٍ مِنَ الرَّبِّ إِلَى الأَسْقُفِ المُتَوَاضِعِ.

وأخيرًا وجد **ساكوبولوس** عملًا في **العاصمة أثينا**، وصار بإمكانه أن يلعب دور المراسل **لنكتاريوس**. أصبح يُلبِّي كل طلباته، وقد تابع الاهتمام بالمنشورات والمحاسبة والاشتراكات كما في السابق. وكان يبتاع الطعام ويُرسِله إلى **نكتاريوس** بأسعار جيدة. كما كان يقوم بدور صلة الوصل بين **نكتاريوس** وأصدقائه المقربين.

وكان شتاء **١٩٠٩** قاسيًا جدًّا، وباردًا، حاملًا معه الأمراض والعَوَز. فالطبيعة أظلمت وفقدت ألوانها. وتعاقبت العواصف مُعيثة الفساد في الحقول. وكان دوي الرعد يتبع ومضات البرق الذي كان على هيئة سلالم ممتدة بين الغابة والسماء الواطئة، وانشطرت بعض الأشجار إلى جزئين. وبعد انتهاء العواصف، كان يُخيِّم على المكان صمتٌ شبيه بصمت القبور.

وصارَ **نكتاريوس** يقتصد في كُلِّ شيء، حتى في كميَّة قليلة من حبوب الفاصولياء أو الفول. وكان يتجنَّب الأكل مساءً. وأحيانًا أيضًا كان يَدَّعي المرض ويذهب إلى النوم دون أن يتناول غير كوب من النقاعة. (ما نقع فيه الشيء من ماء ونحوه).

يتبع

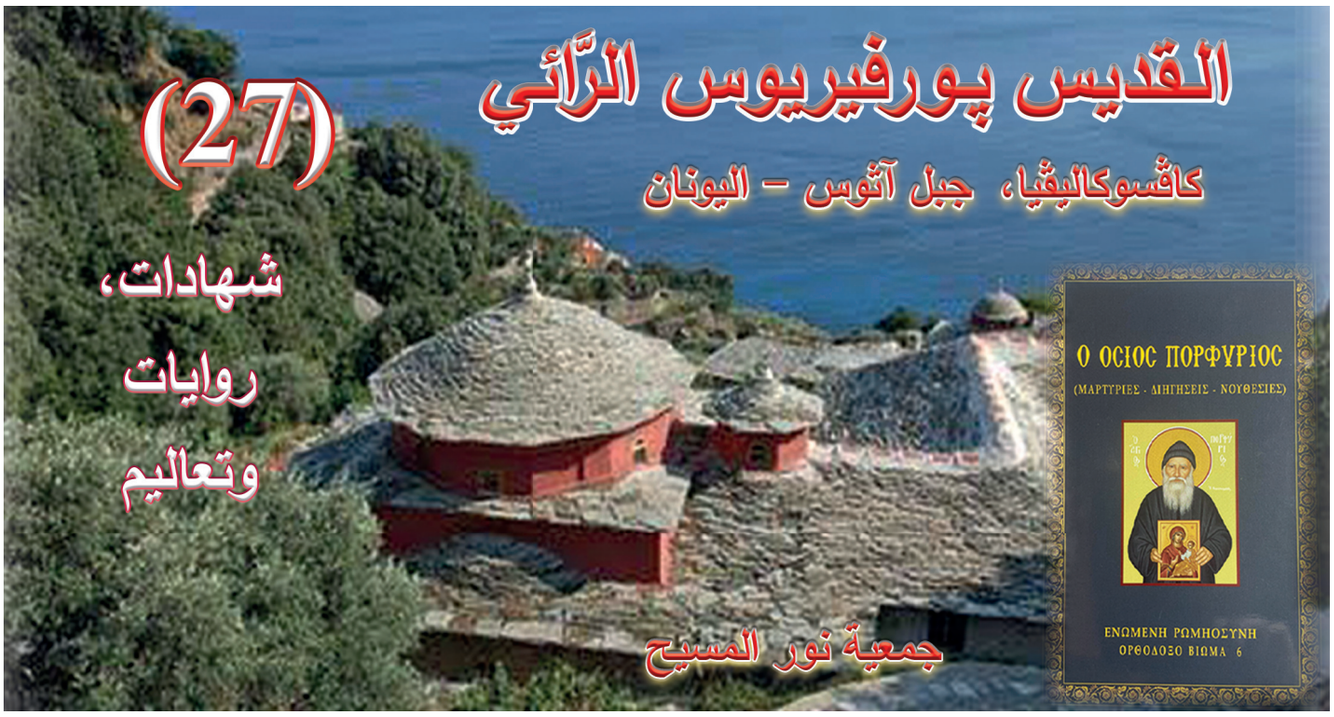

٨ – أَقَلُّ ما يُمكن عن القديس پورفيريوس:

شهادة السيِّدة سوتيراس نوسي: تتمة

كَمَا يَجِبُ الإِشارَةُ إِلَى أَنَّ عَوْنَ وَمُسَاعَدَةَ **الشَّيْخِ پُورْفِيرْيُوسَ** كَانَتَا كَبِيرَتَيْنِ وَمُؤَثِّرَتَيْنِ **لِرَئِيسِ أَسَاقِفَةِ أَثِينَا المُثَلَّثِ الرَّحْمَاتِ، السَّيِّدِ سِيرَافِيمَ**. وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الكُتَيِّبِ الصَّادِرِ: عَنْ **دَيْرِ التَّجَلِّي فِي مِيليسي، أَتِيكِي**، الَّذِي يُسَلِّطُ الضَّوءَ عَلَى حَيَاتِهِ. وَقَدْ تَمَّ ذِكْرُ حَادِثَةٍ **(لَمْ تُذْكَرْ فِي هَذَا الكُتَيِّبِ)** تَتَعَلَّقُ **بِرَئِيسِ أَسَاقِفَةِ أَثِينَا**.

ـ في إحدى الأمسيات، حوالي الساعة التاسعة مساءً، تلقيتُ اتصالًا من **الشيخ**، وكان صوته يحمل قلقًا واضحًا عندما قال:

ـ كيف حال **صاحب الغبطة**؟

ـ أجبته قائلًا: أيُّها **الشيخ**، لا أتناول الحديث بشكلٍ منتظم مع **صاحب الغبطة**، ولم يصلني عنه أيُّ خبر طارئ حتى الآن.

ـ لكن **الشيخ** أصرَّ على الردِّ قائلًا: اتصلي به فورًا، وأخبريه بأنَّ **الشيخ پُورفيريوس** يسأل عن أحواله، وينتظر جوابًا.

ـ تنفيذًا لطلبه، قمت بالاتصال **بصاحب الغبطة رئيس الأساقفة**، وأخبرته بما قاله **الشيخ**:

ـ يا **صاحب الغبطة**، لا تحسبوا هذا الاتصال عليَّ، فقد اتصل بي **الشيخ پُورفيريوس** يسألني عن أخباركم، وأخبرته أنكم غالبًا بخير، لكنني لا أستطيع تأكيد التفاصيل بدقة. وأجابني **الشيخ پُورفيريوس** بقلق: اتصلي به مجدَّدًا، استفسري عن أحواله، وطمئنيني باتصالِكِ من جديد. أنا في انتظارك.

ـ فأجابني **رئيس الأساقفة** مستنكرًا: «ما هذا الذي تقولينه يا بنتي؟!». وأضاف بسرعة: «لقد دخلتُ للتوِّ إلى غرفتي، ولم أخلع عني الجُبَّة بعدُ. كنتُ قد عدتُ لتوي من عيادة طبيب العيون، حيث أُجْرِيَتْ لي عمليَّة جراحيَّة في عيني. وقد أصْدَرتُ أوامر صارمة بأن يبقى هذا الموضوع سِرًّا، ولا يعرف به أحدٌ!» ثم تابع: «لكن أخبري **الشيخ پُورفيريوس** أنَّني أشكره جدًا، وبفضل صلواته، سارت الأمور على ما يرام، عدتُ فورًا وأتصلتُ **بالشيخ**، وأخبرته بما سمعته من **رئيس الأساقفة**، فأجابني بارتياح قائلًا: «نشكر الله.»

ـ في إحدى المرَّات قال لي أحد معارفي من المحامين، كان أمامي قضيَّة خطيرة، تخصُّ بسيِّدة ذات شأنٍ رفيعٍ للغاية، سيِّدة مثقَّفة، إنسانة مميَّزة، لكنها لم تكن تتردَّد على الكنيسة، ولم تمارس سرّ الاعتراف، ولم تكن تُؤمن؛ وأضاف: «وفي إحدى المرات، وجدتُ طريقةً أقنعتها من خلالها بزيارة **الشيخ پُورفيريوس**». وفعلًا، جاءت معي بسبب لُطفها واحترامها لِشَخصي. وعندما دخلنا إلى قلَّاية **الشيخ پُورفيريوس**، وما أن بدأتُ بتعريف السيِّدة أمام **الشيخ** في البداية، حتى قال لنا فورًا: **«ارحلوا! ارحلوا! فورًا! اذهبوا إلى بيتها!»**

تلبَّكتُ شخصيًّا، وأعترف أنَّني انصدمتُ من تصرُّف **الشيخ**. فقلت له: « أيُّها **الشيخ**، جئتُ مع السيِّدة لزيارتكم، ونأمل في الحصول على صلواتكم...» وغيرها من الكلام.

ـ فأجاب الشيخ بسرعة: «**غادِروا فورًا، حتى تتمكَّنوا من اللحاق بها، فابنتها في البيت تتناول دواءً للانتحار. غادِرا الآن!**»

وهكذا كان الأمر بالفعل، وبفضل صلوات **الشيخ**، تمكَّنا من إنقاذ ابنتها.

صورة فوتوغرافيَّة للقديس بورفيريوس وهو في جبل آثوس في إسقيط كافسوكاليفيا يلاحظ غزارة شعره الطويل

لقد حَظِيَ هذا القديس العظيم، باستنارة عظيمة من الروح القدس

الإصحاح الرابع

العظة الرابعة عشرة: (١كو٤:١٧-٢١)

«مَاذَا تُرِيدُونَ؟ أَبِعَصًا آتِي إِلَيْكُمْ أَمْ بِالْمَحَبَّةِ وَرُوحِ الْوَدَاعَةِ؟.» (١كو٤:٢١).

٣- هذه الكلمات تُثير خوفًا، وفي نفس الوقت تُظهر مشاعر لُطف ورقّة. بمعنى أنَّه عندما يقول: «فسأعرف»، يبيِّن ويُظهِر إنسانًا مُتَحَكِّمًا في انفعالاته وضابطًا لنفسه، ولكن بأنْ يُقال: «مَاذَا تُرِيدُونَ؟ أَبِعَصًا آتِي إِلَيْكُمْ؟» (١كو٤:٢١)، يُظهر إنسانًا يَصعد إلى عرش التعليم، ويُكلّمهم من هذه المكانة، باعتبار أنَّ له كُلّ هذا السلطان. ماذا يعني بقوله: «أَبِعَصًا» يعني بِعقاب، سوفَ أُعاقبكم، الأمر الذي فعله **القديس بطرس** مع **حنانيا وسفيرة**، ونفس الأمر تحديدًا قد فعله **الرسول بولس** مع **عليم السَّاحر**. بمعنى أنَّه لم يَضَع نفسه في مكانة متساوية مع أولئك، بل كان كمن يتكلَّم بسلطان حقيقي؛ ومن الواضح أنَّهُ يتحدَّث بنفس الكلام في رسالته الثانية إلى أهلِ كورنثوس: «إِذْ أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ بُرْهَانَ الْمَسِيحِ الْمُتَكَلِّمِ فِيَّ» (٢ كور ١٣:٣). « أَبِعَصًا آتِي إِلَيْكُمْ أَمْ بِالْمَحَبَّةِ» (١كو٤:٢١)، لأنَّه كيف يأتي بِعَصًا ويُظهر محبَّة؟ على الرغمِ من أنَّهُ يُحب بشكلٍ فائق إلَّا أنَّ الضرورة تُلزمه بأن يُعاقِب، ولأجلِ هذا يتكلَّم بهذه الطريقة. وعندما يتحدَّث عن العقاب، لم يَقُل: «بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ»، بل قال: «أَبِعَصًا» . بَلْ إِنَّ هَذَا أَيْضًا يَتِمُّ **بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**، لأنَّ هناك روح وداعة وروح شدَّة، لكنه لم يُرِد أن يدعوه هكذا، بل يستخدم كلمات رقيقة.

ولأجلِ هذا، فإنَّ اللهَ وإنْ كان يُعاقِب، إلَّا أنَّه قد ذُكِرَ عنه في مواضيع كثيرة، أنَّه رحيم، طويل الأناةِ، غنيٌّ في الرحمة، رؤوف، ولم يُذْكَر أنَّه يُعاقِب سوى مرَّة واحدة، أو مرتين، أو نادرًا، ولضرورة مُلحَّة. وانتبه الى حكمة **الرسول بولس**، فبينما هو نفسه يمتلك السُلطان، إلَّا أنَّ العصَا وروح الوداعة يتركه لإختيار الآخرين، قائلًا: «مَاذَا تُرِيدُونَ؟»، أي أنَّ الإختيار متروكٌ لتقديركم أنتم. لأنَّ الإختيار يعتمد علينا نحنُ، فإمَّا أنْ **نسقط في الجحيم** أو ننال **ملكوت السموات**، هَكَذَا أَرَادَ اللهُ. لأنَّه يقول: «وَعَرَضَ لَكَ النَّارَ وَالْمَاءَ؛ فَتَمُدُّ يَدَكَ إِلَى مَا شِئْتَ.» (ابن سيراخ ١٥:١٧). وأيضًا يقول **النبيّ**: «إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ». لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ.» (إشعياء ١:١٩-٢٠).

٣- ولكن ربما يقول البعض إنَّني «أُريد». ولا يوجد أحدٌ على هذا القدر من الحماقة، بحيث يقول: «**لا أُريد**»، حسنًا، ولكنني أرى أنَّ الإرادة وحدها لا تكفي بحسب رأيي، وما يكفي هو أنْ تشعر بضرورةِ أنْ تكونَ لكَ الإرادة، ويجب أنْ تُثبت من خلال أعمالك، أنَّكَ إنسانٌ لديه الإرادة في أن يسلك بالرُّوح. إنَّك حتى الآن لا تمتلك إرادة قويَّة، وعليك أن تؤكِّد على أنَّكَ إنسانٌ ذو إرادة بواسطة أمورٍ أُخرى. فلتُخبرني إذًا، هل يكتفي مَنْ يُريدُ أنْ يتزوَّج بأنَّهُ يُريدُ ذلك؟ **لا على الإطلاق**، بل إنَّه يطلب من أصدقائه المُخلِصين أنْ يهتموا بهذا الموضوع ليلًا ونهارًا، ويجمع أموالًا لهذا الغرض. أيضًا التاجر لا يجلس في بيته مُكتفيًا بمجرَّد الرغبة في تحقيقِ مكسب، لكنه يستأجر قاربًا ويجمع بحَّارة ومُجدِّفين ويقترض أموالًا ويَطوف مُدُنًا ويستطلع الأوضاع، وأسعار البضائع. إذًا ليس مِنَ الغريبِ أنْ نُظهرَ كُلّ هذا الإهتمام في الأمورِ الأرضيَّة، بينما حين يتعلَّق الأمر بربح **ملكوت السموات**، نكتفي فقط بالإرادة؟ وربما ولا في هذا نُظهِر الإهتمام المطلوب. أي أنَّ ذلك الذي يُريد كما ينبغي، يجب أنْ يتقدَّم في نشاطه وأعماله التي تقوده إلى حيثُ يريد. كذلك أيضًا فإنَّ الجوع يجبرك لأنْ تأكلَ، فلا تنتظر الأطعمة أنَ تأتيَ إليك، بل تفعل كُلّ شيء، لكي تحصل على الطعام. وفي العطش وفي الإحساس بالإرتجاف وفي كُلِّ الأمور الأخرى، تجد نفسك نَشِطًا ومُستعدًّا دومًا للإهتمام بالجسد.

فلنفعل هذا أيضًا من أجلِ **ملكوت السموات**، ومن المؤكَّد أنَّك، ستُحقِّق ما تُريد. وَلِأَجْلِ هَذَا خَلَقَكَ اللهُ حُرًّا، لِكَيْ لَا تَتَّهِمَ اللهَ بَعْدَ ذَلِكَ، إِنَّهُ أَجبرَكَ على فعل أمرٍ ما. لكنك تغضب من أجلِ هذا الأمور التي جعلت لك كرامة، تِلْكَ الَّتِي أَعْطَاهَا لَكَ اللهُ. وأسمعُ كثيرين يقولون: لِمَاذَا لَمْ يَجْعَلْنِي اللهُ سالكًا في طريق الفضيلة؟ لكن كيف ينبغي أنْ يحدث

ذلك؟ هل يحملك إلى السماء، بينما أنتَ **تَغُطُّ في نومٍ عميق، وتشتهي الشرّ، وتعيش حياة رخوة ومُتنعِّمة، وتأكل بشراهة؟** إنَّكَ لن تتجنَّب الشَّر، مادمتَ الآن حيث يوجد تهديد ووعيد، لا تبتعد عن ارتكاب الشرّ، بالرغمِ من أنَّه قد سَبَقَ **وَوَعَدَكَ بملكوت السموات**، كمُجازاة، فمتى ستتوقَّف عن أنْ تكون أكثر خمولًا وأكثر سوءًا؟ لكنك لن تستطيع أن تُبرِّر مسلكك هذا، بأنَّه قد أظهَرَ لك الخيرات والصالحات، ولكنه لم يُساعدك، لأنَّه وَعَدَكَ – كما تقول – بعونٍ كبيرٍ.

قد يقول البعض، إنَّ الفضيلة مُتعبَة وثقيلة، بينما اللَّذة الكثيرة ممتزجة بالخطيَّة وطريق الشرّ واسعٌ وفسيحٌ ورحب، بينما طريق الفضيلة ضَيِّق وَكَرِب. أخبرني هل هذان الطريقان لم يَكونا كذلك من قَبلُ، أم كانا هكذا منذ البداية؟ لأنَّ ما تقوله بشأن الفضيلة، تقوله دون أن تُريد، فالحقيقة قويَّة إلى أقصَى حدٍّ. فَإِنْ كَانَ ٱلطَّرِيقَانِ هُمَا ٱثْنَيْنِ، وأنَّ أحدهما يؤدِّي إلى **أتون النار**، والآخر يقود إلى **الفردوس**، وأنَّ الطريق الذي يؤدِّي إلى الأتون (موقد النار الكبير) واسعٌ ورحبٌ، والطريق الآخر الذي يقود للفردوس، ضَيِّق وَكَرِب، فأيّ الطريقين ستُفَضِّل؟ وإن كنتَ الآن بدافع من رغبة في الجدال، ترفض الطريق الضيِّق، فإنَّك سترفض أُمورًا يعترف بها الجميع، لكن وَإِنْ كُنْتَ بَعْدُ ضَعِيفًا تَمَامًا، فلن تستطيع أنْ ترفضه.

ومن حيث أنَّكَ تُفَضِّل ذلك الطريق الذي ربما يحمل بداية صعبة، لكن ليست نهايته كذلك، فسأُحاول أن أُقدمه لكم بأمثلة من الحياة اليوميَّة، وإن شِئتم فسنستخدم الفنون أولًا، فهذه الفنون أو الصناعات تكون في بداياتها مملوءة بالتعب والمشاق، لكنها تحمل ربحًا في نهايتها. لكن قد يقول البعض، إنَّه لا يوجد أحدٌ قد انشغَلَ بعملٍ ما، دون أن يكون هناك شخصًا آخرًا قد دفعه للإهتمام بهذا العمل. بمعنى، لو كان الشاب يملك زِمام أُمور نفسه ربما سيُفَضِّل في البداية أن يعيش حياة مُترفة على أنْ يتعب ويُعاني في بداية حياته، ثمّ بعد ذلك يفرح بثمار أتعابه، مع أنَّه عندما يقترب من النهاية سيُعاني شرورًا لا حدّ لها. إذًا لكي يُصَرِّح أحد بهذا النوع من التفضيل، فهذا يُعَدّ مؤشر على فكر محدود وكسل طفولي، بينما إذا فَضَلَ ما هو عكس ذلك (أي الطريق الضيِّق)، فهذا يُظهر تَعَقُّلًا وحكمة وشجاعة.

هكذا نحن أيضًا، إنْ لم نَكُن أطفالًا في الفكر، فما كنَّا تشبهنا بذاك **اليتيم والأحمق**، بل بمن لديه أبًا يُرشده إلى الأمور اللائقة. ينبغي أنْ ننزعَ عنَّا الفكر الطفولي، ولا نُهاجم الحقيقة. يجب علينا أيضًا أنْ نضعَ لجامًا على ضميرنا (أي نتحكَّم فيه)، عندئذ لن يتركنا نأكل بشراهة، بل يحثّنا أنْ نركُض ونُجاهد. أليس هو أمرٌ يدعو إلى التعجُّب، إذا كنَّا نقود الأطفال بالجُهد والتعب إلى أمور تحمل بدايتها مشاقًا ومتاعب، لكن نهايتها تُنتج راحة وأمورًا مُفرحة، بينما نحن أنفسنا نسلك بصورة عكسيَّة. فيما يخصّ الأمور الروحيَّة؟ بل ولا في الأمور الحياتيَّة أيضًا، يكون من الواضح تمامًا أنَّ النهاية ستكون سعيدة. لأنَّه قبل الموت قد تحدث مجاعة ووشاية وتغيير في الأحوال وأمور أُخرى مثل هذه، تُساهم عادَةً في أنْ يُحرَم الناس من نوال الثمار، بعد أنْ يكونوا قد جازوا الكثير من الأتعاب. وأيضًا إذا نجح الذين يسعون في إثر هذه الأمور، أن يُحقِّقوا ما يَصبون إليه، فلن يربحوا شيئًا مُهمًّا، لأنَّ كُلّ هذا سينتهي مع هذه الحياة الحاضرة.

لَكِنَّنَا لَا نَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلتَّافِهَةِ وَٱلْوَقْتِيَّةِ، وَلَا نَخَافُ إِذَا قَرُبَتْ نِهَايَتُنَا، بَلْ نَتَغَذَّى عَلَى ٱلرَّجَاءِ ٱلْعَظِيمِ ٱلضَّامِنِ لِحَيَاتِنَا بَعْدَ رَحِيلِنَا مِنْ هَذَا ٱلْعَالَمِ. أَيُّ دِفَاعٍ سَيُقَدِّمُهُ هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَاهِدُوا مِنْ أَجْلِ ٱقْتِنَاءِ ٱلْفَضِيلَةِ وَلَا زَالُوا بَعْدُ يَتَسَاءَلُونَ، لِمَاذَا ٱلطَّرِيقُ ٱلضَّيِّقُ؟ وَكَيْفَ تَحْكُمُ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلْأَرْضِيَّةِ بِأَنَّهُ لَا يَحِقُّ دُخُولُهَا لِلزُّنَاةِ وَٱلسَّكَّارَى وَٱلشَّهْوَانِينَ، وَبَيْنَمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ، تُرَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَهُ أُنَاسٌ لَيْسَ فِيهِمْ مَخَافَةُ ٱللهِ، وَيَعِيشُونَ حَيَاةً مُتَرَفَّةً وَمُتَنَعِّمَةً فِي سُكْرٍ وَطَمَعٍ وَمُنْغَمِسُونَ فِي كُلِّ شُرُورِهِمْ ٱلْأُخْرَى؟ وَكَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ ٱلْأُمُورُ مُسْتَحِقَّةً لِلْمَغْفِرَةِ؟ **(يتبع في العدد القادم)**

قَوْلُ الصِّدْقِ فِي زَمَنِ الصَّوْمِ الأَرْبَعِينِيِّ المُقَدَّسِ: دَعْوَةٌ لِلنِّيَّةِ الصَّافِيَةِ وَالْعَيْشِ بِصِدْقٍ

كُن صَادِقًا فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ، لِأَنَّ ٱلصِّدْقَ هُوَ أَسَاسُ ٱلثِّقَةِ وَٱلصِّدْقِ فِي ٱلْعَلَاقَاتِ ٱلْإِنْسَانِيَّةِ. عِندَمَا يَكُونُ ٱلْإِنسَانُ صَادِقًا فِي كَلَامِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَإِنَّهُ يَخْلُقُ بِيئَةً مِنَ ٱلْأَمَانِ وَٱلْاِحْتِرَامِ حَوْلَهُ. ٱلصِّدْقُ لَا يَعْنِي فَقَطْ قَوْلَ ٱلْحَقِيقَةِ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ نَوَايَاكَ وَاضِحَةً وَأَفْعَالُكَ تَتَمَاشَى مَعَ مَا تَقُولُ.

إِلَيْكَ بَعْضُ الخُطُوَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدَكَ عَلَى الحِفَاظِ عَلَى صِدْقِكَ:

١) **الوُضُوحُ فِي نَوَايَاكَ:** قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ أَوْ تَفْعَلَ شَيْئًا، تَأَكَّدْ مِنْ أَنَّ نَوَايَاكَ وَاضِحَةٌ وَصَافِيَةٌ. لِمَاذَا تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ؟ إِذَا كَانَتْ نَوَايَاكَ صَادِقَةً، فَسَيَكُونُ مِنَ السَّهْلِ الحِفَاظُ عَلَى صَرَاحَتِكَ.

٢) **التَّفْكِيرُ قَبْلَ الكَلَامِ:** لَا تَتَسَرَّعْ فِي الرَّدِّ أَوِ التَّصَرُّفِ. تَوَقَّفْ لَحْظَةً قَبْلَ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا أَوْ تَفْعَلَ فِعْلًا، وَاسْأَلْ نَفْسَكَ: « هَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟ هَلْ يَعْكِسُ مَا أُؤْمِنُ بِهِ؟ »

٣) **تَحَمُّلُ ٱلْمَسْؤُولِيَّةِ:** عِنْدَمَا تُخْطِئُ، ٱعْتَرِفْ بِخَطَئِكَ بِشَجَاعَةٍ. الصِّدْقُ لَيْسَ فَقَطْ فِي قَوْلِ الحَقِيقَةِ، بَلْ فِي تَحَمُّلِ المَسْؤُولِيَّةِ عَنْ أَفْعَالِكَ. هَذَا يُعَزِّزُ مِنْ مِصْدَاقِيَّتِكَ وَيَمْنَحُكَ احْتِرَامَ الآخَرِينَ.

٤) **الِاتِّسَاقُ بَيْنَ القَوْلِ وَالفِعْلِ:** لَا تَكْذِبْ فِي ٱلْأَقْوَالِ أَوْ تَعِدْ بِشَيْءٍ ثُمَّ تَفْعَلَ شَيْئًا مُخَالِفًا. إِذَا قُلْتَ شَيْئًا، فَتَأَكَّدْ مِنْ أَنَّكَ سَتُنَفِّذُهُ. هَذَا يَبْنِي ٱلثِّقَةَ وَيَجْعَلُ ٱلنَّاسَ يَعْرِفُونَ أَنَّكَ شَخْصٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ.

٥) **الصِّدْقُ مَعَ نَفْسِكَ:** قَبْلَ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا مَعَ الآخَرِينَ، كُنْ صَادِقًا مَعَ نَفْسِكَ. اعْرِفْ مَنْ أَنْتَ، مَاذَا تُرِيدُ، وَمَا هِيَ قِيَمُكَ. هَذَا الصِّدْقُ الدَّاخِلِيُّ سَيَعْكِسُ فِي تَصَرُّفَاتِكَ الخَارِجِيَّةِ.

فَلْنَقْتَرِبْ إِلَى اللهِ بِرُوحٍ مُتَوَاضِعَةٍ وَقَلْبٍ تَائِبٍ

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122